

# العنبرُ الأَشهبُ

الكهُرمان في التُّراث العربي

جمع وتحرير

د. مريم النعيمي

كتارا  
katara  
دار كتارا للنشر  
Katara Publishing House

# العنبرُ الأشهبُ

الكهرمان في التراث العربي

جمع وتحرير

د. مريم النعيمي

عدد الصفحات: 106 صفحة

الطبعة الأولى: 2019 م

جميع الحقوق محفوظة للناشر

كتارا  
katara  
دار كتارا للنشر  
Katara Publishing House

قطر، الدوحة، المؤسسة العامة للحي الثقافي «كتارا»، مبنى 15، ص ب: 16214

هاتف: 0097444080045 | البريد الإلكتروني: info@kataraph.com

دار كتارا للنشر ليست مسؤولة عن آراء المؤلفين وأفكارهم.

إن الآراء المعبر عنها في هذا الكتاب تعكس وجهات نظر المؤلفين ولا تعكس بالضرورة آراء دار كتارا للنشر.

يمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأي وسيلة تصويرية أو إلكترونية أو ميكانيكية بما فيه التسجيل الفوتوغرافي، والتسجيل على أشرطة أو أقراص قرائية أو أي وسيلة نشر أخرى، أو حفظ معلومات واسترجاعها، دون إذن خطي من الناشر.

كتارا  
katara  
دار كتارا للنشر  
Katara Publishing House

2019

## الفهرس

7	تصدير: د. خالد بن إبراهيم السليطي
9	المقدمة
13	المبحث الأول: الكهرمان في التراث العربي
15	أولاً: تعريف الكهرمان (العنبر أو العنبر الأشهب)
15	تسمية الكهرمان وتعريفه
21	ثانياً: تاريخ وجود العنبر وأماكن تشكله عبر العصور
27	ثالثاً: مصادر العنبر أو الكهرمان
28	أ- العنبر مصدره البحر
34	ب- العنبر مصدره السمك
36	ج- العنبر مصدره ثمرة شجرة
37	د- العنبر قطر الدوم
38	هـ- العنبر روث بقر مائي
39	و - العنبر صمغ الحور الرومي
39	ز- العنبر مصدره الطل
43	رابعاً: أنواع العنبر
47	خامساً: جودة العنبر ورداءته

48	1- معيار الرائحة
48	2- معيار المصدر
50	3- معيار اللون
53	سادساً: فوائد العنبر
53	1- العنبر قنية ثمينة
56	2- العنبر عطر وبخور
57	3- العنبر حلي وزينة
58	4- العنبر دواء
63	سابعاً: أحكام ذات صلة بالعنبر
65	ثامناً: العنبر الأشهب في الأدب العربي
71	المبحث الثاني: السبح العنبرية
73	أولاً: تعريف السبحة في اللغة والاصطلاح
79	ثانياً: تاريخ ظهور السبحة
81	ثالثاً: السبحة من منظور شرعي
87	رابعاً: علو منزلة السبحة ونفاسة قيمتها
93	خامساً: السبحة في الأدب العربي
99	أهم مصادر ومراجع البحث



## تصدير

لقد اتخذت المؤسسة العامة للحي الثقافي (كتارا) عنوان التميز والإبداع نبراسًا لها في تقديم الثقافة والفن، ورعاية الموروث القطري بصورة خاصة والعربي بصورة عامة.

وها نحن اليوم نبتهج ثقافيًا وفنيًا بإقامة المعرض الأول من نوعه في قطر والعالم لمساح الكهرمان، والذي يعد ملتقى جامعًا لهواة وتجار الكهرمان في العالم، وسيوفر هذا الملتقى تجربة تسوق رائدة ومبتكرة من خلال ما يقدمه من عروض للخامات النادرة من أحجار الكهرمان، وبهذه المناسبة يسر المؤسسة العامة للحي الثقافي (كتارا) تقديم كتاب «الكهرمان في التراث العربي» الذي يحكي تاريخ الكهرمان في التراث العربي القديم ومكانته القيمة في التاريخ والأدب والشعر العربي. ونحن إذ نطمح إلى تقديم كل ما هو فريد من نوعه في مجالات الثقافة والفن الرفيع، يكبر فينا الأمل والثقة بنجاح النسخة الأولى من «معرض كتارا لمساح الكهرمان»، ونتمنى أن تجدوا متعتكم في طرافة وجدة المادة المطروحة في كتاب «العنبر الأشهب.. الكهرمان في التراث العربي».

### د. خالد بن إبراهيم السليطي

المدير العام للمؤسسة العامة للحي الثقافي كتارا





## مقدمة

عנית الحضارة العربية الإسلامية بالأحجار الكريمة والمعادن النفيسة وسائر التحف التي تتصل بالزينة والجمال، خاصة منها ما له صلة بالطبقات التي كانت لها الحظوة في المجتمع من ملوك وأمراء ووزراء وكتاب وعلماء، وغيرهم ممن عنوا بسائر صنوف الأحجار والجواهر والتحف التي توسعوا في استعمالها، لتشمل الجوانب الروحية والطبية إضافة إلى توظيفها للزينة والمتعة. ويشير أبو حيان التوحيدي إلى مبلغ هذه العناية على مستوى البحث العلمي، فيذكر في كتابه «الإمتاع والمؤانسة» في الليلة الرابعة والعشرين من ليالي هذا الكتاب في بحثه موضوع المعادن وكيفية تشكلها والبيئات الملائمة لكل نوع منها: «وقد أحصى بعض من عني بهذا الشأن هذه الأنواع المعدنيّة فوجدها سبعمائة نوع.»<sup>(1)</sup>

ومن هذه الأحجار التي عني بها العرب «الكهرمان» الذي عرف لدى العرب باسم العنبر أو العنبر الأشهب. ولا أدل على مدى الكلف

(1) التوحيدي: أبو حيان التوحيدي، علي بن محمد بن العباس (المتوفى: نحو 400هـ): الإمتاع والمؤانسة، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة: الأولى، 1424 هـ، (ص: 235).

والشغف والاهتمام الذي حظي به لدى القدماء من عناية الخليفة العباسي هارون الرشيد به، فقد تآقت نفسه للتعرف إلى حيثية حجر الكهرمان أو العنبر، خاصة أنه من المواد التي تجمع بين صفتين رائقتين: صفة الحسن والجمال حليًا وزينة، وصفة طيب الرائحة عطرًا فواحًا، فقد كلف هذا الخليفة من يبحث له عن طبيعة هذه المادة المحيرة مصدرًا ومزيةً وحسنًا وبهاءً، ليخلص هذا الباحث إلى أنه بحريُّ المنشأ، ولا شك أن ما انتهى إليه هذا الباحث المكلف من قبل الخليفة، فضلًا عما أشار إليه التوحيدي من إحصاء للأحجار، يمثل خلاصة علوم ومعارف تلك الحقبة الزمنية. يقول الدميري: «ولقد عني الرشيد بالمسألة عن العنبر، فأمر حمادًا البدوي في البحث بالمسألة، فكتب إليه أن جماعة من أهل عدن أعلموه أنه شيء يخرج من عيون في قعر البحر تقذفه الرياح بالأمواج، كما تخرج أرض هتبة القار (وهي أرض الروم) الزفت الرومي. وآخر جزائر هذا البحر بسرنديب في بحر هر كند وهي رأس هذه الجزائر كلها».<sup>(1)</sup>

(1) المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي (ت: 346هـ): أخبار الزمان ومن أبياده الحدثان وعجائب البلدان والغامر بالماء والعمران، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت، 1416هـ - 1996م. (ص: 59).

وقد اتخذ القدماء سبجًا من الجواهر عمومًا والعنبر على وجه الخصوص، لما له من الحسن والجمال والرائحة الطيبة، فضلًا عما له من مزايا طبية وهذه الدراسة (سبح الكهرمان أو العنبر) تتألف من  
مبحثين:

أولهما يتناول موضوع الكهرمان أو العنبر كما عرفته المصادر العربية والإسلامية، من حيث مفهومه ومصادره وأنواعه ودرجات جودته وفوائده، واهتمام الملوك والوزراء وغيرهم بهذا الحجر الثمين، فضلًا عن مبحث لحضوره في الأدب العربي.

والثاني يتناول موضوع السبحة متبوعًا بتاريخ ظهورها والجدل الذي أثير حولها وبيان منزلتها، فضلًا عن حضور سبج الجواهر عمومًا في الأدب وخاصة السبج العنبرية.

ونحن إذ نقدم هذا البحث للقارئ نتمنى أن نساهم في إضاءة تحف تمثل جانبًا ثقافيًا مهمًا، شُغف به الناس قديمًا كما فُتنوا بسحر جماله وعظيم فوائده في العصر الحاضر.





المبحث الأول

## الكهرمان في التراث



## أولاً: تعريف الكهرمان (العنبر أو العنبر الأشهب)

### تسمية الكهرمان وتعريفه

الكهرمان لفظ غلب على حجر مخصوص وبالرغم من غلاء قيمته وتعدد استخداماته فإنه لا يعد من الأحجار الكريمة. «ويتم تسمية الكهرمان في اللغة العربية بالعنبر أو العنبر الأشهب، أمّا اسم كهرمان فهو له أصل فارسي وأصل تركي. فباللغة الفارسيّة تأتي كلمة كهرمان من كلمة كهرم والتي تعني الأكثر تأثيراً وهذه الكلمة بدورها مُشتقة من كلمة كرمه والتي تعني المؤثر. أمّا باللغة التركيّة فهي تعني البطل وتُقال قهرمان».<sup>(1)</sup>

أو «الكهرمان لفظ فارسي لحجر العنبر الأشهب».<sup>(2)</sup>

أو «الكهرمان لفظ فارسي عربيّه العنبر الأشهب، والظاهر أنه مشتق من لفظه كهرم بزيادة الألف والنون للنسبة، معناها الأكثر

(1) ما هو العنبر؟ ضمن موقع: موضوع.كوم

<https://mawdoo3.com>

(2) ما هو الكهرمان؟ ضمن موقع: موضوع.كوم

<https://mawdoo3.com>

عملاً والأشد تأثيراً، وأصلها كرمته بمعنى المؤثر والعامل، وكلمة  
كهрман بالتركية أو قهرمان معناها البطل»<sup>(1)</sup>.

وبلفظ العنبر عرف هذا الحجر في التراث العربي رغم غلبة  
الكهرمان عليه في العصر الحديث.

وتشير المعاجم والكتب القديمة إلى عدة أسماء أطلقت على هذا  
الحجر الغالي نتبعها فيما يلي:

من الأسماء التي عرف بها الكهرمان الكهرب أو الكهربان،  
ففي معجم تاج العروس «الكَهْرْمُ، كَجَعْفَرٍ: وَالكَهْرَمَانُ  
هُوَ الْكَهْرَبُ وَالكَهْرَبَانُ، لِهَذَا الْأَصْفَرِ الْمَعْرُوفِ، وَالكَهْرَمَانُ  
وَالْقَهْرَمَانُ»<sup>(2)</sup>.

ويطلق عليه أيضاً (الكهربا) بالقصر، ففي التاج «الكَهْرَبُ،  
وَيُقَالُ: الْكَهْرَبَا، مَقْصُورًا، لِهَذَا الْأَصْفَرِ الْمَعْرُوفِ»<sup>(3)</sup>.

ويذكر السري الرفاء الكهربا في تعريفه العنبر، فيقول: «والكهربا  
نوع من الخرز الأصفر يطفو على بحر الغرب وبحر طبرستان، ولا  
يعرف معدنه»<sup>(4)</sup>.

وفي معجم الوسيط (الكهرباء) بالمد «مَادَّةٌ رَاتِنِيَّةٌ صَفْرَاءُ اللَّوْنِ

(1) مادة كهрман ضمن موقع ويكيبيديا

<https://ar.wikipedia.org/wiki>

(2) الزبيدي، محمّد بن محمّد (ت: 1205هـ): تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين،  
دار الهداية، (33 / 390).

(3) الزبيدي، محمّد بن محمّد (ت: 1205هـ): تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين،  
دار الهداية، (4 / 183)، مادة (كهرب).

(4) السري الرفاء (ت 388 هـ): المحب والمحبوب والمشموم والمشروب ص: 177.



شبه شفافة قَوِيَّة العَزْل للكهربائية وَهِيَ أُولَى المَوَادِّ الَّتِي عَرَف  
تَكَهْرِبُهَا بِالدَّلِكِ وَمِنْهَا اشْتَقَّتْ كَلِمَةُ الكَهْرِبَائِيَّةِ».<sup>(1)</sup>

وفيه أيضًا: «(الكهرمان): علك أحفوري أفرزته أشجار من  
المخروطيات عاشت في عصور جيولوجية قديمة».<sup>(2)</sup>

وتسمى بعض المصادر الكهرمان أو الكهربا بمصباح الروم،  
ففي نهاية الأرب في فنون الأدب «الكهربا يسمّى مصباح الرّوم».<sup>(3)</sup>  
وقد عرف الكهرمان - كما سبق - لدى العرب بالعنبر أو العنبر  
الأشهب

ففي كتاب «المحب والمحبوب والمشموم والمشروب» للسري بن  
أحمد الرفاء (ت 388 هـ) عده الثاني في مشموم الطيب بعد المسك.  
وقد ربط السري الرفاء أصول تسمية العنبر الاشتقاقية من  
جذر (عبر) بما شاع لدى القدماء من ارتباطه بالبحر الذي  
هو مصدره، يقول في كلامه عن العنبر: «العين والباء والراء  
تضعها العرب لجواز الشيء ومصبّه وقلّة تمكّنه ولُبّه، وهو  
متصل ونونه زائدة، كأنه عبر البحر بنفسه. وعبرت الرؤيا،  
أخرجتها من حال النوم إلى حال اليقظة، كعبور البحر من  
جانب إلى جانب».

(1) إبراهيم مصطفى وأحمد الزيات وحامد عبدالقادر ومحمد النجار: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية  
بالقاهرة، دار الدعوة، (2 / 802).

(2) المصدر السابق، (2 / 803).

(3) النويري، أحمد بن عبدالوهاب القرشي التيمي البكري، (ت: 733هـ): نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب  
والوثائق القومية، القاهرة، الطبعة: الأولى، 1423هـ، (11 / 295).

ومن تعريفات الكهرمان المعاصرة: «العنبر هو عبارة عن أحفورة لشجرة تُسمّى بالراتنج، أو الشجرة الصمغية التي دُفنت تحت الأرض، وجرت عليها تغييرات كيميائية وفقدان لكثير من العناصر، ويكون حجر العنبر أو ما يُسمّى بحجر الكهرمان على شكل عُقيدات غير منتظمة أو قضبان أو على شكل قطرات، وتتنوع ألوان العنبر فهناك اللون الأصفر الذي يتخلله اللون البرتقالي والبنّي، وهناك اللون الأحمر نادر الوجود، بالإضافة إلى اللون الأبيض الحليبي والذي يُسمّى بعنبر العظام، ويكمن سبب تعكّر العنبر في وجود العديد من فقاعات الهواء الصغيرة والدقيقة، ويتميّز العنبر بوجود المئات من أنواع الحشرات والنباتات الأحفورية على شكل شوائب داخلها، ويُستخدم العنبر الملون الشفاف مادة أولية لصناعة المجوهرات».<sup>(1)</sup>

ومنها أنه «عبارة عن مواد عضوية نباتية تحجرت ومن ثمّ تشكلت منذ آلاف السنين من أشجار صنوبرية مُتقرضة تُدعى الراتنج. ولا تُعدُّ أحجار الكهرمان من الأحجار الكريمة المعدنية التقليدية، حيث إنّها تكونت من مواد عضوية. وهي تُعد ذات قيمة كبيرة أيضًا كالأحجار الكريمة الأخرى. يمتاز الكهرمان بكونه هشًا بالرغم من أنه مُتحجر من آلاف السنين، وهو يمتاز بأنّه يبعث رائحة الصنوبر عندما يتم إحراقه أو بمجرد فركه باليدين. أمّا عن ألوان الكهرمان فهي اللون الأصفر الذهبي واللون الأصفر الداكن المائل للبنّي واللون الأسود، وهناك أنواع نادرة

<sup>(1)</sup> <https://mawdoo3.com> (1) ما هو العنبر؟ ضمن موقع: موضوع.كوم

تتخذ اللون الأزرق والأخضر. وتحتوي بعض أحجار الكهرمان على حشرات ومخلوقات مُنقرضة<sup>(1)</sup>.

ومنها تعريف الكهرمان بأنه «راتنج»<sup>(2)</sup> متحجر من الأشجار الصنوبرية المنقرضة في بعض مناطق الغابات الصنوبرية العالمية وتحجرت وتشكلت قبل آلاف السنين. الكهرمان لا يعدّ إطلاقاً من مجموعات الأحجار الكريمة المعدنية الأساسية وإنما مواد عضوية متحجرة بمعنى أنه من المواد النباتية العضوية. ولذلك هو هش ويبعث روائح الشجر الصنوبري عند فركه باليد أو إحراقه. ويتدرج لونه في العادة من الأصفر إلى الأصفر الداكن ويوجد إما بأشكال دائرية أو كتل غير منتظمة الشكل أو بشكل جوب أو قطرات. هو هش قليلاً ويبعث رائحة مقبولة عند فركه باليدين وعند إحراقه يصدر لهباً لامعاً ورائحة زكية ويصبح كهربائياً سلبياً بالاحتكاك. توجد أصناف من الحشرات المنقرضة مغلقة أحياناً في عينات الكهرمان»<sup>(3)</sup>.

ويتحدث الثعالبي في كتابه (ثمار القلوب في المضاف والمنسوب)

(1) ما هو الكهرمان؟ ضمن موقع: موضوع كوم

<https://mawdoo3.com>

(2) راتنج أو الصمغ هو إفراز عضوي يحوي المواد الهيدروكربونية من النبات، ولا سيما الأشجار الصنوبرية التي تكون قيمتها كبيرة في السوق لمكوناتها الكيميائية واستخداماتها، مثل الورنيش والصمغ، وبوصفها مصدرًا مهمًا للمواد الخام وللتركيب العضوي، والبخور والعطور الراتنج الأحفوري هو مصدر الكهرمان. ويدخل الراتنج أيضًا في مواد طلاء الأظافر. ويستخدم هذا المصطلح أيضًا للمواد المركبة من خصائص مماثلة. والراتنجات لها تاريخ طويل جدًا، وقد ذكرها كل من ثيوفراستوس الروماني وبليني الأكبر اليوناني، خاصة الأشكال المعروفة باسم اللبان والمر. حيث كانت تحظى بتقدير كبير من المواد المستخدمة لأغراض كثيرة، وخاصة العطور <https://ar.wikipedia.org> والبخور في الشعائر الدينية. انظر: مادة (راتنج) ضمن موسوعة ويكيبيديا

(3) مادة (كهرمان) ضمن موسوعة ويكيبيديا

<https://ar.wikipedia.org>

عن نوع من العنبر يسمى (عنبر الشَّحْر) يضرب به المثل، قالَ  
الشَّاعِرُ:

وَلَوْ كُنْتَ عَطْرًا كُنْتَ مِنْ عُنْبِرِ الشَّحْرِ...

قَالَ صَاحِبُ كِتَابِ (المسالك والممالك) إن الشحر جزيرة من  
عمان على مائتي فرسخ، ويُقال إن العنبر من زيد بحر سر نديب،  
ويقال بل من معدن بها، ومن الناس من يزعم أنه روث دابة في  
بحر الهند.

قَالُوا: وخيره الأشهب ثم الأزرق وأدونه الأسود، وكان يُحمل  
من مكة والمدينة والحجاز كل عام إلى السلطان من العنبر ثمانون  
رطلاً ومن المتاع أربعة آلاف ثوب ومن الزبيب ثلاثمائة راحلة<sup>(1)</sup>.

(1) الثعالبي، عبد الملك بن محمد، أبو منصور (ت: 429هـ): ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، دار المعارف  
- القاهرة، (ص: 535، 536).

## ثانياً: تاريخ وجود العنبر وأماكن تشكله عبر العصور

وجد العنبر منذ الخلق الإنساني الأول، فقد أشارت بعض الروايات إلى أن العنبر الأشهب مما أنعم الله به على آدم وحواء في أول نواة للعلاقات الاجتماعية الأسرية، فقد ذكر العصامي في خبر زواج آدم وحواء أن مما نثر لهما من حلي اليواقيت والأحجار الكريمة والزينة ناقة من نُوق الجنة من العنبر الأشهب لحواء، فلما تزوجها آدم «أمر الله رضوان يزخرف الجنة لعرسه وأن يوضع لآدم منبر من النور فعلاه آدم وحواء إلى جانبه وألبسهما من حلل الجنة وتوجهما، وأمر الخزنة أن تنثر عليهما اللؤلؤ والمسك وأمر الملائكة بالتقاط نثار آدم تبركاً به، وأمر رضوان يخرج له فرساً من خيول الجنة فأخرج له فرساً من الكافور له جناحان أخضران منظومان بالدر والياقوت... ثم أخرج لحواء ناقة من نُوق الجنة من العنبر الأشهب عليه هودج اللؤلؤ وقبة من الياقوت الأحمر قد غشيت بالإستبرق وخطامها وكورها من اللؤلؤ الرطب الأبيض». (1)

(1) العصامي: عبدالملك بن حسين (ت: 1111هـ): سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، علي محمد معوض، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، 1419 هـ - 1998 م،

وقد استخدم القدماء الكهرمان في بناء تماثيلهم كالأشوريين، إذ «يستشهد من التماثيل الناجحة للملوك بتمثال حجري صغير لأشور ناصربال يبلغ ارتفاعه نحو المتر ولا يخلو من التأثير بالأسلوب البابلي، يمثله واقفاً في هيئة رسمية في سن الرجولة بشارب متدل وشعر مرسل طويل ولحية ضخمة مزجلة مستعارة... وتمثال صغير من الكهرمان كان جزءاً من حلية كبيرة، لملك آشوري غير معروف، تضمن مزايا التمثال السابق دون عيوبه، وزاد عليها ساحة مظهره، وسلامة تكوين العينين، وصدق تمثيل الشفتين، وطرافة تشكيل الشارب مبروم الطرفين، وانعقاد يديه على صدره، وتحلية صدريته الطويلة بزخارف نباتية لطيفة».<sup>(1)</sup>

وفي العصر الحديث كشفت الدراسات جوانب عديدة أضاعت جانباً مظلماً من طرق تشكل الكهرمان ومصادره، إذ تشير إلى أنه «يتكون من مادة شبه صلبة غير متبلورة عضوية وغير منتظمة تفرز عن طريق جيوب وقنوات خلايا النباتات. يعدّ العنبر متغاير الخصائص من حيث التركيب ولكنه متناسق من حيث الأجساد الراتنجية المتعددة (فهو أكثر ميولاً للذوبان في الكحول وسائل الأثير والكلوروفورم) والتي ترتبط وتتحد مع عناصر أخرى (مادة حمرية) لا تذوب أو تتحلل. ويعدّ الكهرمان مجموعة من عناصر كيميائية المتبلورة وهي اتحاد جزيئين أو أكثر من مركب ما لتشكيل مركب ذي وزن جزئي أكبر، بمعنى تحول مركب ما إلى آخر من أجزاء عدة متماثلة. ولأنه لين ولزج فإنه يحتوي في ثناياه في كثير من

(1) عبد العزيز صالح: الشرق الأدنى القديم في مصر والعراق، مكتبة دار الزمان، (ص: 532 - 533).

الأحيان حشرات وفقاريات صغيرة وبذور أو أجسام غريبة تلتصق به خلال مرحلة الانتقال إلى حالة التحجر. وتوجد أيضًا أصناف من الحشرات المنقرضة مغلقة أحيانًا في عينات الكهرمان<sup>(1)</sup>.

وقد أزعج باحثون معاصرون بعض الغموض الذي كان يكتنف تاريخ هذه المادة المحيرة وطرق تشكلها، إذ يقول علماء الجيولوجيا إن ديناصورات وتماسيح وسلاحف كانت تدوس بأقدامها هذه الأراضي السبخية المكونة في جملها من مستنقعات تحوي أنواعًا نباتية وحيوانية دقيقة كالنمل والعناكب والقوارض المرئية وغير المرئية. وفي إحدى المرات سألت كميات من الصمغ من إحدى الأشجار وغطت تلك الحشرات التي تقطن تحتها فتمكن بعضها من الهرب تاركًا وراءه ذيلًا أو جناحًا، في حين غرق البعض الآخر كليًا في ذلك الصمغ الذي تحجر مع الزمن وتحول إلى كهرمان. وكان على بعض هذه الحشرات أن تنتظر مائة مليون سنة قبل أن يقرر الجيولوجي ويديه فيرودو من مختبر علوم الأرض في جامعة رينز الفرنسية إخراجها بعد أن جمع كيلوجرامين من الكهرمان الغامق من منطقة الشارونت ماريتيم، لتكون هذه نقطة الانطلاق للتعرف إلى حشرات عاشت في العصر الطباشيري.

والواقع أن المشكلة التي كانت تواجه الباحث بول تافورو تتعلق بالقطع المتأخفرة ذات اللون الأصفر الممزوج بالبنّي، إذ كانت سميكة وغامقة جدًا ولا يمكن فك طلاسمها بسهولة، لكن يبدو أن الجهاز

(1) مادة (كهرمان) ضمن موسوعة ويكيبيديا

الذي يعمل عليه تافورو أقوى بمليار مرة من تلك الأجهزة المستخدمة في التصوير الإشعاعي الطبي، فالحزمة التي يولدها هذا الجهاز من أشعة إكس قادرة على الوصول إلى أعماق قطع الكهرمان من دون أن تلتفها. وفي العادة، تجري هذه العملية على مرحلتين: الأولى تتمثل في البحث عن الشوائب (الكائنات المتأخرة) عن طريق تقنية التصوير الإشعاعي المجهرى أي باستخدام صور راديوية بأبعاد ثنائية، ثم باللجوء إلى تقنية الرسم السطحي المجهرى، وهي عبارة عن مسح «سكانر» سطحي لتحويل الرسومات إلى صور.

وبعد الانتهاء من هذه العملية تظهر الحشرات المتأخرة في الكهرمان بشكل دقيق ومفصل غير مسبوق، فالأجنحة والعروق والقوائم وقرون الاستشعار (الزبانيات) كلها تبدو واضحة بشكل مذهل، بما في ذلك الزغب والدرن والحراشيف إلى درجة أن من يشاهد الصور يعتقد أن هذه الحشرات نفقت بالأمس.<sup>(1)</sup>

وتشير الأبحاث الحديثة إلى اتساع الخريطة التي وجد بها هذا الحجر الثمين، إذ «يوجد العنبر في جميع أنحاء العالم، ويكثر وجوده على طول شواطئ بحر البلطيق».<sup>(2)</sup> فقد «عثر عليه في العصور القديمة في ساحل بحر البلطيق الجنوبي وجمهورية الدومينيكان وما زال موجوداً إلى الآن. ويوجد أيضاً بكميات صغيرة في صقلية،

(1) محمد هاني عطوي: الكهرمان يكشف أسرار حشرات عاشت قبل 100 مليون سنة، ضمن جريدة الخليج، 01/05/2009

<http://www.alkhaleej.ae>

(2) ما هو العنبر؟ ضمن موقع: موضوع.كوم

<https://mawdoo3.com>



ورومانيا، وسيبيريا، وجرينلاندا، ومينامار (المعروفة سابقا ببيورما)، وأستراليا، والولايات المتحدة، وبلدان البلطيق وامتدادها شرقاً إلى روسيا. وتتحجر في الكهرمان أنواع من الحشرات والقوارض تختلف عن مناطق أخرى، وبخاصة أجزاء من سيبيريا من أكبر مخزونات العالم، ومن ثم تأتي دولة الدومنيكان ولكل منها جودة خاصة به يستعمل الكهرمان في الفنون وفي صناعة المجوهرات، وحمالات السيجار، وسدادات الأنابيب»<sup>(1)</sup>.

ويوجد الكهرمان أو العنبر كذلك في لبنان.<sup>(2)</sup>

---

(1) موسوعة ويكيبيديا

<https://ar.wikipedia.org>

(2) ما هو الكهرمان؟ ضمن موقع: موضوع.كوم

<https://mawdo3.com>



## ثالثاً: مصادر العنبر أو الكهرمان

خاض علماء العرب القدماء في مصادر العنبر، فنسبه كثيرون إلى البحر مصدرًا وتولّدًا أو إلى أسماك فيه أو أشجار أو حيوانات، وذهب البعض إلى القول بجهالة معدنه، وعده من جملة أشياء لا يعلم لها مصدر معروف تصدر منه، فقد جاء في كتاب (المحب والمحبوب والمشموم والمشروب) للسري الرفاء (ت 388 هـ) أن العنبر «يجيء طفافاً على الماء لا يدري أحد معدنه... وعلى ذكر العنبر وخروجه وعبوره، فإن ثلاثة أشياء لا يعرف أحد معدنها. أحدها العنبر، وهو يجيء طفافاً على وجه الماء، والثاني المومياء بأرض فارس، ومعناه موم آي، أي شمع الماء. ولا يدري أحد من أين يجيء أو ينبع. وله بيت مقفل على بابه، وعليه حرس عدول يفتحونه كل سنة بأمر السلطان وحضور المشايخ. وفي مجرى الماء حوض نُصبت عليه مصفاة كالغربال يجري فيها الماء إلى خارج، فيبقى المومياء فيجمد ويؤخذ إلى الخزانة».<sup>(1)</sup>

ومن أورد جهالة مصدر العنبر الأبشيهي إذ لا يعلم أحد معدنه

(1) السري الرفاء (ت 388 هـ): المحب والمحبوب والمشموم والمشروب ص: 177.

حسب ما ذكر في مستطرفه، يقول: «حُكي أن العنبر يأتي على طفاوة الماء لا يدري أحد معدنه، فلا يأكله شيء إلا مات ولا ينقره طائر إلا بقي متقاره فيه، ولا يقع عليه حيوان إلا نصلت أظفاره فيه، والتجار والعطارون ربما وجدوا أظفاراً فيه».<sup>(1)</sup>

وفيماء يلي نتبع أهم مصادر نشوء الكهرمان أو العنبر:

## أ- العنبر مصدره البحر

تحدث القدماء عن مصادر هذا الحجر الغالي، فأورد أغلبهم في أخباره أنه مقذوف بحري، يخرج من بحار خاصة ترميه على شواطئها، فقد ورد في الأثر «عَنْ أُذَيْنَةَ سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ: لَيْسَ الْعُنْبَرُ بِرَيْحَانٍ، إِنَّمَا هُوَ شَيْءٌ دَسَّرَهُ الْبَحْرُ».<sup>(2)</sup>

ولعل رواية النويري في كتابه (نهاية الأرب في فنون العرب) أقرب الروايات لمصدر العنبر الحقيقي حسب الأبحاث والدراسات الحديثة، من حيث مراحل تكوّنه بغض النظر عن مادته الأصلية التي تولد منها، ففي هذا الكتاب «قال التميمي: والأصل الصحيح فيه أنه ينبع من صخور في قرار الأرض ومن عيون، ويجتمع في قرار البحر؛ فإذا تكاثف وثقل جذبته طبيعة الدهانة التي فيه، واضطرتّه إلى الانقطاع من المواضع التي يتعلّق بها عند خروجه من الأرض،

(1) الأبيشي، شهاب الدين محمد بن أحمد بن منصور أبو الفتح (ت: 852هـ): المستطرف في كل فن مستطرف، عالم الكتب - بيروت، الطبعة: الأولى، 1419 هـ، (ص: 279).

(2) الفسوي، يعقوب بن سفيان بن جوان الفارسي (ت: 277هـ): المعرفة والتاريخ، تحقيق: أكرم ضياء العمري، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الثانية، 1401 هـ - 1981 م، (3 / 115).

وطلعت به إلى وجه الماء فطفأ على وجه الماء وهو جار ذائب؛ ومنه ما تقطّعه الأمواج فتخرجه إلى السواحل قطعًا كبارًا وصغارًا. قال: وحديثني أبي عن أبيه عن أحمد بن أبي يعقوب قال: تقطّعه الرّيح وشدّة الموج فترمى به إلى السواحل وهو يفور، لا يدنو منه شيء لشدّة حرّه وفورانته؛ فإذا أقام أيامًا وضربه الهواء جمد، فيجمعه الناس من السواحل المتّصلة بمعادنه». (1)

والمسعودي في تاريخه (أخبار الزمان) حين يعرض لبحار الهند متحدّثًا عن كنوزها ومقدوفاتها ونباتاتها ومنها العنبر، يقول: «والبحر الرابع يقال له دوانحد وبينه وبين بحر هر كند جزائر كثيرة، يقال إنها ألف وتسعمائة جزيرة، ويقع بين هذه الجزائر عنبر كثير وهذا العنبر ينبت في قعر البحر نباتًا، فإذا اشتد هيجان البحر قذفه من قعره فيرتفع مثل الرمل والحماة، وهو عنبر دسم. وقرأت في كتاب الطيب الذي ألفه إبراهيم بن المهدي، أن أحمد بن حفص العطار قال: كنت في مجلس أبي اسحق وهو يصفني عنبرًا قد أذابه، وقد أخرج ما كان فيه من الحشيش الذي على خلقه مناقير الطير، فسألني فقلت: هذه مناقير الطير الذي يأكل العنبر إذا راثته دوابه، فضحك أبو اسحق وقال: هذا قول تقوله العامة. ما خلق الله دابة تروث العنبر، وما العنبر إلا شيء يكون في قعر البحر». (2)

(1) النويري، أحمد بن عبد الوهاب القرشي التيمي البكري، (ت: 733هـ): نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب والوثائق القومية - القاهرة، الطبعة: الأولى، 1423هـ، (ج: 12، ص: 17-18).

(2) المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي (ت: 346هـ): أخبار الزمان ومن أبياده الحدّثان وعجائب البلدان والغامر بالماء والعمران، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت، 1416هـ - 1996م، (ص: 45).

ولقد عني الرشيد بالمسألة عن العنبر، «فأمر حمادًا البدوي في البحث بالمسألة، فكتب إليه أن جماعة من أهل عدن أعلموه أنه شيء يخرج من عيون في قعر البحر تقذفه الرياح بالأمواج، كما تخرج أرض هتبة القار وهي أرض الروم الزفت الرومي. وآخر جزائر هذا البحر بسرنديب في بحر هر كند وهي رأس هذه الجزائر كلها».<sup>(1)</sup>

ويتحدث عن وفرة العنبر في بحر هر كند، وكيفية خروجه إلى السواحل بتأثير هوج الرياح والأمواج التي تقذفه، ويبدو أن هذه الرياح عاتية شديدة لعظم ما تدفع إلى الشاطئ من العنبر الذي يشبه في ضخامته حجم البيت، يقول المسعودي: «وفي بحر هر كند على ما ذكره بطليموس وجماعة من البحريين ألف وسبعمئة جزيرة عامرة سوى الخراب، ويملك هذه الجزائر كلها امرأة، ويقع إليها عنبر كثير، وربما وقع إليها القطعة بقدر البيت أو نحوه، وإنما يخرج هذا العنبر إذا هاجت الرياح من قعر البحر رمت من تحته فقذفت به إلى السواحل».<sup>(2)</sup>

ويتحدث لويس شيخو في كتابه (مجاني الأدب في حدائق العرب) عما «يقع من العنبر إلى سواحل بحر فارس، هو شيء تقذفه الأمواج إليه. ومبدأه من بحر الهند. على أنه لا يعرف مخرجه. غير أن أجوده ما وقع إلى بلاد بربر أو حدود بلاد الزنج وما والاها. وهو الأبيض المدور والأزرق النادر كبيض النعام أو دون ذلك. وذلك أن البحر

(1) المرجع السابق نفسه، (ص: 60).

(2) المرجع السابق نفسه، (ص: 60).

إذا اشتد هيجانه قذف من قعره العنبر. ومنه ما يوجد فوق البحر  
ويزن وزناً كثيراً»<sup>(1)</sup>.

وفي معجم البلدان: «أشْبُونَة: وهي مدينة بالأندلس أيضاً يقال  
لها لشبونة، وهي متصلة بشنترين قريبة من البحر المحيط يوجد  
على ساحلها العنبر الفائق، قال ابن حوقل: هي على مصب نهر  
شنترين إلى البحر»<sup>(2)</sup>.

وفي كتاب (المغرب في حلى المغرب) في باب الخلب في حلى مملكة  
شلب أنها «مملكة تجاور مملكة إشبيلية وهي في غربها وشمالها ويخرج  
في سواحلها العنبر من البحر المحيط»<sup>(3)</sup>.

لقد أشار كثير من العلماء والأدباء إلى علاقة العنبر بالبحر  
وخروجه منه، ففي كتاب (حياة الحيوان الكبرى) للدميري:  
«والعنبر المشموم، قيل: إنه يخرج من قعر البحر، يأكله بعض  
دوابه لدسومه، فيقذفه رجيعاً، فيوجد كالحجارة الكبار، فيطفو  
على الماء، فتلقيه الرياح إلى الساحل... وقال ابن سيده: العنبر يخرج  
من البحر»<sup>(4)</sup>.

ويتحدث الثعالبي في كتابه (ثمار القلوب في المضاف والمنسوب)

(1) لويس شيخو: رزق الله بن يوسف شيخو (ت: 1346هـ): مجاني الأدب في حدائق العرب، مطبعة الآباء  
اليسوعيين - بيروت، 1913م، (ج: 1 / ص: 148).

(2) الحموي، شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت الرومي (ت: 626هـ): معجم البلدان، دار صادر - بيروت، الطبعة:  
الثانية، 1995م، (1 / 195).

(3) ابن سعيد المغربي الأندلسي أبو الحسن علي بن موسى (ت: 685هـ): المغرب في حلى المغرب - تحقيق:  
د. شوقي ضيف، دار المعارف - القاهرة، الطبعة: الثالثة، 1955، (1 / 380).

(4) الدميري، محمد بن موسى، أبو البقاء (ت: 808هـ): حياة الحيوان الكبرى، دار الكتب العلمية - بيروت،  
الطبعة: الثانية، 1424هـ، (2 / 215).

عن نوع من العنبر يسمى (عنبر الشَّحْر) يضرب به المثل، قال  
الشَّاعر:

وَلَوْ كُنْتَ عَطْرًا كُنْتَ مِنْ عُنْبَرِ الشَّحْرِ...

قال صاحب كتاب (المسالك والممالك): «الشحر جزيرة من  
عمان على مائتي فرسخ»<sup>(1)</sup>، وفي اللسان أن «الشَّحْرَ سَاحِلُ الْيَمَنِ،  
قال الأزهري: في أقصاها، وقال ابن سيده: بينها وبين عُمانَ.  
ويقال: شِحْرُ عُمانَ وشَحْرُ عُمانَ، وهو ساحل البحر بين عُمانَ  
وعَدَنَ». (2)

وفي (المستطرف) إشارة إلى استمداد العنبر من ماء البحر الذي  
يطفو على سطحه، يقول: «وحكي أن العنبر يأتي على طفاوة الماء لا  
يدري أحد معدنه، فلا يأكله شيء إلا مات ولا ينقره طائر إلا بقي  
منقاره فيه، ولا يقع عليه حيوان إلا نصلت أظفاره فيه، والتجار  
والعطارون ربما وجدوا أظفاراً فيه». (3)

ولم يزل متعارفاً لدى العرب ارتباط البحر بالعنبر وانتسابه  
إليه، لذا نجد الثعالبي في حديثه عن إهداء كتابه (ثمار القلوب  
في المضاف والمنسوب) إلى خزانة كتب الأمير السَّيِّد أبي الفضل  
عبيدالله بن أحمد الميكالي قائلاً: «وإن كنت في ذلك كمهدي

(1) الثعالبي، عبدالمملك بن محمد، أبو منصور (ت: 429هـ): ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، دار المعارف  
- القاهرة، (ص: 535، 536).

(2) ابن منظور، محمد بن مكرم (ت: 711هـ): لسان العرب، دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة - 1414هـ،  
(398 / 4).

(3) الأبيشي، شهاب الدين محمد بن أحمد بن منصور أبو الفتح (ت: 852هـ): المستطرف في كل فن مستطرف،  
عالم الكتب - بيروت، الطبعة: الأولى، 1419هـ، (ص: 279).



العود إلى الهند وناقل المسك إلى أرض الترك وجالب العنبر إلى  
البحر الأخضر». (1)

ومن بحر الأندلس - كما يقول المقرئ - يخرج أجود العنبر الذي  
يفوق ما سواه من صنوف في الجودة، يقول معدداً مزايا إقليم  
الأندلس: «إن الأندلس في آخر الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة  
التي هي ربع المعمور الدنيا، فهي موسطة من البلدان، كريمة  
البقعة، بطبع الخلقة، طيبة التربة، مخصبة القاعة، منجسة العيون  
الشرار، منفجرة بالأنهار الغزار.... ومن بحرها بجهة الغرب يخرج  
العنبر الجيد المقدم على أجناسه في الطيب والصبر على النار». (2)

وذكر الثعالبي في (ثمار القلوب في المضاف والمنسوب) في حديثه  
عن (عجائب البحر) «قال الجاحظ ما ظنك بماء إذا خبث وملح  
ولد الدر وأثمر العنبر» (3)

بالرغم من كثرة من روى رواية ارتباط العنبر بالبحر وصدوره  
منه فإن بعض القدماء لم يجزم بها، وأوردها بحذر، ذلك أن الأبيشي  
مثلاً حين نقل عن الزمخشري روايته سماع من يقول إن العنبر زبد  
بحر سرنديب قدم لنقله عنه بدعاء (عفا الله عنه)، الدال على  
أنه قد أتى في نقله بما يحتاج إلى طلب المغفرة والعفو عنه، ففي

(1) الثعالبي، عبد الملك بن محمد، أبو منصور (ت: 429هـ): ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، دار المعارف  
- القاهرة، (ص: 3).

(2) المقرئ، شهاب الدين أحمد بن محمد المقرئ التلمساني (ت: 1041هـ): نفح الطيب من غصن الأندلس  
الطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر - بيروت - لبنان، (1 / 140).

(3) الثعالبي، عبد الملك بن محمد، أبو منصور (ت: 429هـ): ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، دار المعارف  
- القاهرة، (ص: 569).

(المستطرف): «وقال الزمخشري عفا الله عنه: سمعت ناساً من أهل مكة يقولون: هو من زبد بحر سرنديب».<sup>(1)</sup>

## ب- العنبر مصدره السمك

من العنبر نوع يسمى العنبر السمكي، ففي «نهاية الأرب في فنون العرب» للنويري «وربما أتت السمكة العظيمة التي يقال لها البال فابتلعت من ذلك العنبر الصافي وهو يفور، فلا يستقرّ في جوفها حتى تموت وتطفو، ويطحرها البحر إلى الساحل؛ فيشقّ جوفها، ويستخرج ما فيه من العنبر، وهو العنبر السّمكي».<sup>(2)</sup>

ولا يبعد القول بأن مصدر العنبر السمك عن المصدر السابق؛ إذ إن السمك بحري، ووجود العنبر في جوف السمك مرده إلى توفره داخل البحر، حيث يلتهمه السمك غذاءً؛ ليُستخرج منه بعد صيده. لكن الجديد في الخبر اختصاص نوع من السمك معروف لدى الصيادين بكمون العنبر في جوفه، ففي كتاب (حياة الحيوان) حديث عن استخراج بعض الزنج العنبر من جوف سمكة ضخمة يترصدونها حتى إذا ظفروا بها أغاروا عليها، وشقوا عن صيدهم الكامن في جوفها. يقول النويري متحدثاً عن سمكة تسمى البال: «البال: سمكة تكون

(1) الأبيشي، شهاب الدين محمد بن أحمد بن منصور أبو الفتح (ت: 852هـ): المستطرف في كل فن مستطرف، عالم الكتب - بيروت، الطبعة: الأولى، 1419هـ، (ص: 279).

(2) النويري، أحمد بن عبد الوهاب القرشي التيمي البكري، (ت: 733هـ): نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، الطبعة: الأولى، 1423هـ، (12 / 17).

في البحر الأعظم، يبلغ طولها خمسين ذراعاً يقال لها العنبر، وليست بعريية، قال الجواليقي: كأنها عربت.... وقال القزويني: البال سمكة طولها خمسمائة ذراع أو أكثر، تظهر في بعض الأوقات، طرف جناحها كالشراع العظيم وأهل المراكب يخافون منها أعظم خوف، فإذا أحسوا بها ضربوا بالطبول لتنفّر عنهم، فإذا بغت على حيوان البحر بعث الله سمكة نحو الذراع تلتصق بأذنها، فلا خلاص للبال منها، فتطلب قعر البحر وتضرب الأرض برأسها حتى تموت، وتطفو على الماء كالجبل العظيم. ولها أناس من الزنج يرصدونها، فإذا وجدوها طرحوا فيها الكلايب وجذبوها إلى الساحل، وشقوا بطنها واستخرجوا العنبر منها».<sup>(1)</sup>

وقد ورد في الحديث قصة سمكة عظيمة الحجم تسمى العنبر، فقد روى البخاري عن جابر رضي الله تعالى عنه، قال: بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأمر علينا أبا عبيدة، نلتقي عيراً القريش، وزودنا جراباً فيه تمر لم يجد لنا غيره، فكان أبو عبيدة يطعمنا تمرة، قال: فقلت: كيف كنتم تصنعون بها؟ قال: كنا نمصها كما يمص الصبي، ثم نشرب عليها الماء، فتكفينا يومنا إلى الليل، وكنا نضرب بعصينا الخبط، ثم نبله بالماء فنأكله. فانطلقنا على ساحل البحر، فرفع لنا شيء كهية الكثيب الضخم، فأتيناها فإذا هي دابة تدعى العنبر. قال: فقال أبو عبيدة: إنها ميتة، ثم قال: لا بل

(1) الدميري، محمد بن موسى، أبو البقاء (ت: 808هـ): حياة الحيوان الكبرى، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الثانية، 1424هـ، (1 / 163)، انظر لفظ الحديث في: مسلم بن الحجاج، أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: 261هـ): المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، (3 / 1535).

نحن رسل رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي سبيل الله، وقد اضطررتم فكلوا، قال: فأقمنا عليها شهراً، ونحن ثلاثمائة، حتى سَمِيناً (يعني تقوينا) وزال ضعفنا، وإلا فما كانوا سماناً قط، قال: ولقد رأيتنا نغترف من وقب عينيها بالقلال الدهن ونقتطع القطعة قدر التور. ولقد أخذ منا أبو عبيدة ثلاثة عشر رجلاً فأقعدهم في عينيها، وأخذ ضلعاً من أضلاعها فأقامه، ثم رحل أعظم بعير معنا فمر من تحتها، وتزودنا من لحمها. فلما قدمنا المدينة، أتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فذكرنا ذلك له فقال: «هو رزق أخرجه الله لكم فهل معكم من لحمه فتطعمونا؟» قال: فأرسلنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم منه فأكله». (1)

### ج - العنبر مصدره ثمر شجرة

في كتاب (حياة الحيوان): «وقال أهل العلم به: إنه نبات والنبات لا يحرم منه شيء. قال: وحدثني بعضهم، أنه ركب البحر فوقع إلى جزيرة فيه، فنظر إلى شجرة مثل عنق الشاة، فإذا ثمرها عنبر، قال: فتركناه حتى يكبر ثم نأخذه، فهبت الريح فألقته في البحر». (2)

وينقل الدميري عن الشافعي ما يشير إلى أن العنبر أصله نبت

(1) مسلم بن الحجاج، أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: 261هـ): المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، (3 / 1535).

(2) الدميري، محمد بن موسى، أبو البقاء (ت: 808هـ): حياة الحيوان الكبرى، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الثانية، 1424هـ، (2 / 216).

بحري، ففي (حياة الحيوان): «... وقال الشافعي: سمعت من قال: رأيت العنبر نابتاً في البحر، ملتويّاً مثل عنق الشاة. وقيل: إن أصله نبت في البحر وله رائحة ذكية. وفي البحر دويبة تقصده لذكاء رائحته، وهو سمها، فتأكله فيقتلها ويلفظها البحر، فيخرج العنبر من بطنها». (1)

## د - العنبر قطر الدوم

ذهب بعض القدماء إلى القول إن مصدر العنبر ندى أو رطوبة تقطر من شجر الدوم، فقد ورد في (نهاية الأرب في فنون الأدب): «والكهربا صنفان: منها ما يجلب من بلاد الروم والمشرق؛ ومنها ما يوجد بالأندلس في غربيها عند سواحل البحر تحت الأرض، ويوجد في واحات مصر. ويقال: إنه رطوبة تقطر من الدوم من ورقه، شبيهة بالعسل، يكون منها الكهربا، وقد يوجد في داخلها الذباب والتّين والحجارة». (2)

إن هذه الرواية قد لا تبعد عن الرواية السابقة التي تتحدث عن الشجر، فكلاهما واحد، لكن هذه الرواية تمتاز بتحديد نوع الشجر، وكلتا الروايتين لا تبعدان عما ذهب إليه الدارسون من القول إن مصدره شجر الصنوبر.

(1) الدميري، محمد بن موسى، أبو البقاء (ت: 808هـ): حياة الحيوان الكبرى، دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة: الثانية، 1424 هـ، (2 / 216).

(2) النويري، أحمد بن عبد الوهاب القرشي التيمي البكري، (ت: 733هـ): نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب والوثائق القومية- القاهرة، الطبعة: الأولى، 1423 هـ، (11 / 295 - 296).

## هـ - العنبر روث بقر مائي

أورد الدميري في (حياة الحيوان) في كلامه عن حيوان يدعى (بقر الماء) ما نسب للقزويني من قوله: «زعموا أن بقرًا يطلع من الماء يرعى الزرع وروثه العنبر، والله أعلم بصحة ذلك، فإن الناس ذكروا أن العنبر نبت بقعر البحر فإن صح ما قالوه فروث هذا الحيوان ينفع الدماغ والحواس والقلب والله أعلم»<sup>(1)</sup>.

والظاهر أن الدميري يشكك في هذه الرواية مذكراً بما تواتر لدى الناس من خروج هذه المادة من البحر، بانياً على هذه الرواية إن صححت فوائدها طيبة.

والتشكيك في هذه الرواية لا يبدو مقتصراً على الدميري، فقد نقل المسعودي في (أخبار الزمان) سخرية أبي إسحاق من يذهب هذا المذهب ناسباً أصحابه إلى العامة، ففي هذا الكتاب يقول المسعودي: «وقرأت في كتاب الطيب الذي ألفه إبراهيم بن المهدي، أن أحمد بن حفص العطار قال كنت في مجلس أبي اسحق وهو يصفني عنبراً قد أذابه، وقد أخرج ما كان فيه من الحشيش الذي على خلقه مناقير الطير، فسألني فقلت هذه مناقير الطير الذي يأكل العنبر إذا راثته دوابه، فضحك أبو اسحق وقال هذا قول تقوله العامة. ما خلق الله دابة تروث العنبر، وما العنبر إلا شيء يكون في قعر البحر»<sup>(2)</sup>.

(1) الدميري، محمد بن موسى، أبو البقاء (ت: 808هـ): حياة الحيوان الكبرى، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الثانية، 1424هـ، (2 / 221).

(2) المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي (ت: 346هـ): أخبار الزمان ومن أباده الحدائق وعجائب البلدان والغامر بالماء والعمران، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت، 1416هـ - 1996م، (ص: 45).

ويعدد الثعالبي في كتابه (ثمار القلوب في المضاف والمنسوب) الروايات المفسرة لمصدر العنبر، ذاكراً من ضمنها زعم البعض أنه من روث دابة هندية، ففي كتابه: «ويقال إن العنبر من زبد بحر سرنديب ويُقال بل من معدن بها، ومن الناس من يزعم أنه روث دابة في بحر الهند». (1)

### و - العنبر صمغ الحور الرومي

أورد النويري رواية من قال إن مصدر العنبر صمغ الحور الرومي، ناسباً إلى عبدالله بن البيطار نفي صحتها، ففي (نهاية الأرب في فنون الأدب): «وقال عبدالله بن البيطار في مفرداته: من زعم أن الكهريا صمغ الحور الرومي فليس قوله بصحيح». (2)

### ز - العنبر مصدره الطل

يذهب أبو حيان التوحيدي هذا المذهب في تحليله لمنشأ الجواهر ومصدر تشكلها، مقررًا أن لكل منها طبيعة خاصة تترد إلى أصلها ويبتها الملائمة لها، ففي كتابه (الإمتاع والمؤانسة) يفصل كيفية نشوء كل صنف منها، ومنها العنبر الذي ينتج عن الطل، يقول: «من الجواهر المعدنية ما هو صلب لا يذوب إلا بالنار الشديدة،

(1) الثعالبي، عبدالملك بن محمد، أبو منصور (ت: 429هـ): ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، دار المعارف - القاهرة، (ص: 535، 536).

(2) النويري، أحمد بن عبدالوهاب القرشي التيمي البكري، (ت: 733هـ): نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، الطبعة: الأولى، 1423هـ، (11 / 295).

ولا يكسر إلا بالفأس كالياقوت والعقيق، ومنها تُرابي رخو لا يذوب ولكن ينفرك، كالمح والزاج، والطلق، ومنها مائي رطب ينفّر من النار كالزئبق، ومنها هوائي دهني تأكله النار، كالكبريت والزرنخ، ومنها نباتي كالمرجان، ومنها حيواني كالدرّ، ومنها طلّ منعقد، كالعنبر والبادزهر. وذلك أنّ العنبر إنّما هو طلّ يقع على سطح ماء البحر، ثمّ ينعقد في مواضع مخصوصة في زمان مقدّر، وكذلك البادزهر، فإنّه طلّ يقع على بعض الأحجار، ثمّ يشرح في خللها، ويغيب فيها، وينعقد في بقاع مخصوصة، في زمان معلوم، وكالترنجبين الذي هو طلّ يقع على ضرب من الشوك، وكذلك اللك فإنّه يقع على نبات مخصوص ينعقد عليه، وكذلك الدرّ فإنّه طلّ يرسخ في أصداف نوع من الحيوان البحري، ثمّ يغلط ويجمد وينعقد فيه، وكذلك الموميا، وهي طلّ يرسخ في صخور هناك ويصير ماء ثمّ ينزّ من مسامّ ضيّقة ويجمد وينعقد»<sup>(1)</sup>.

ويشرح مفهوم الطلّ قائلاً: «والطلّ هو رطوبة هوائية تجمد من برد الليل، وتقع على النبات والشجر والحجر والصخر، وعلى هذا القياس جميع الجواهر المعدنية، فإن مادتها إنّما هي رطوبات مائيّة، وأنداء وبخارات تنعقد بطول الوقوع ومرّ الزّمان»<sup>(2)</sup>.

إنّ هذه النظرية وإن كانت ترجع تشكّل العنبر إلى رطوبة هوائية إلا أنّها في الحقيقة لا تبعد عن فكرة العلاقة بالبحر، وهي تشير إلى

(1) التوحيد، أبو حيان التوحّيدي، علي بن محمد بن العباس (ت: نحو 400هـ): الإمتاع والمؤانسة، المكتبة العصرية - بيروت، الطبعة: الأولى، 1424 هـ، (ص: 235).

(2) المرجع السابق، (ص: 235).



ضرورة توفر فترة زمنية هي شرط تشكل هذا الحجر وفق ما أبان عنه الباحثون المعاصرون في حجر الكهرمان أو العنبر، كما تربط بين هذه الأحجار وبيئات تشكلها من نبات وشجر وحجر وصخر، ومعلوم أن الأبحاث الحديثة ترجع العنبر إلى نوع من الشجر هو الصنوبر.

وجملة القول أن أبا حيان التوحيدي لم يبعد في نظريته عما انتهى إليه الدارسون المعاصرون لهذا الحجر، مما يدل على تقدم الأبحاث في هذا الحجر في عصره.



## رابعاً: أنواع العنبر

تتعدد أنواع العنبر حسب ألوانه وأحجامه وجودته وردائه، وإلى هذا التنوع أشارت رواية محمد بن أحمد التميمي: «حدّثني أبي عن أبيه عن أحمد بن أبي يعقوب أنه قال: العنبر أنواع كثيرة، وأصناف مختلفة، ومعادنه متباينة؛ وهو يتفاضل بمعادنه وبجوهره؛ فأجود أنواعه وأرفعه وأفضله وأحسنه لوناً وأصفاه جوهرًا وأغلاه قيمة العنبر الشّحري».<sup>(1)</sup>

وقد فصل القدماء القول في كثير من هذه الأنواع، حيث أشار الدميري إلى صنوف منه يوجب الفقهاء ذكرها عند التعامل به دفعاً للخداع والغش، «فلا بد من بيان أنواعه ووزنه، فالعنبر منه الأشهب والأبيض والأخضر والأسود».<sup>(2)</sup>

وقد تحدث النويري في (نهاية الأرب في فنون الأدب) عن صنفين للعنبر يبدو أنهما مختلفان، قسمهما على أساس مصدرهما الذي

(1) النويري، أحمد بن عبد الوهاب القرشي التميمي البكري، (ت: 733هـ): نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب والوثائق القومية- القاهرة، الطبعة: الأولى، 1423 هـ، (12 / 16).

(2) الدميري، محمد بن موسى، أبو البقاء (ت: 808هـ): حياة الحيوان الكبرى، دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة: الثانية، 1424 هـ، (2 / 216).

يجلبان منه، فقال: «والكهربا صنفان: منها ما يجلب من بلاد الروم  
والمشرق؛ ومنها ما يوجد بالأندلس في غربيها عند سواحل البحر  
تحت الأرض، ويوجد في واحات مصر».<sup>(1)</sup>

وأما خواصه فقال المختار بن عبدون: «العنبر حار يابس،  
وهو دون المسك، وأجوده الأشهب الخفيف الدسم، وهو يقوي  
القلب والدماع، ويزيد في الروح وينفع من الفالج والقوة والبلغم  
الغليظ، ويولد شجاعة، لكنه يضر من اعتاده الباسور، وتدفع  
مضرته بالكافور وشم الخيار. ويوافق الأمزجة الباردة الرطبة  
والمشايخ، وأجوده ما استعمل في الشتاء. قالوا: والعنبر جماجم  
أكبرها ألف مثقال، تبرز من عيون في البحر وتطفو على الماء،  
فيسقط عليها الطير فتأكلها فتهلك. وقيل: إنه روث دابة، وقيل:  
إنه من غشاء البحر، وأجوده الأشهب وضده الخمري وله زهومة  
لابتلاع السمك، ويتصفى منه عند عمله رمل والله تعالى أعلم».<sup>(2)</sup>

ويعزى اختلاف الألوان في العنبر إلى طبيعة الشجر الذي أثمره،  
إذ «بسبب تنوع الشجر الصمغي المتحجر فقد تنوعت أنواع وألوان  
وأشكال العنبر فأسم «عنبر» يعني اللون الأصفر أو البرتقالي، لكن  
ألوانه الأبيض - الأصفر - البرتقالي - الأحمر - البني يصل لدرجة  
الأسود. ويتدرج كل لون ما بين درجات المزيج اللوني فمثلاً،  
من أصفر قاتم إلى أصفر شاحب ليموني. وهناك ألوان نادرة مثل

(1) النويري، أحمد بن عبد الوهاب القرشي التيمي البكري، (ت: 733هـ): نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب  
والوثائق القومية - القاهرة، الطبعة: الأولى، 1423هـ، (11 / 295).

(2) الدميري، محمد بن موسى، أبو البقاء (ت: 808هـ): حياة الحيوان الكبرى، دار الكتب العلمية - بيروت،  
الطبعة: الثانية، 1424هـ، (2 / 216).

الأحمر العنبري ويطلق عليه اسم العنبر الأحمر، والعنبر الأخضر، وهناك أنواع نادرة جداً تحمل اللون الأزرق». (1)

والعنبر منه القطع الصغيرة والكبيرة العظيمة الحجم «وفي بحر هر كند على ما ذكره بطليموس وجماعة من البحرين ألف وسبعمئة جزيرة عامرة... ويقع إليها عنبر كثير، وربما وقع إليها القطعة بقدر البيت أو نحوه». (2)

---

(1) موسوعة ويكيبيديا

<https://ar.wikipedia.org>

(2) المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي (ت: 346هـ): أخبار الزمان ومن أبياده الحدثان وعجائب البلدان والغامر بالماء والعمران، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت، 1416هـ - 1996م، (ص: 60).



## خامساً: جودة العنبر وردائه

تتباين الروايات في تحديد جودة ورداءة العنبر تبايناً ملحوظاً رغم اتفاقها في الأغلب على جودة بعض أنواعه، فعلى سبيل المثال تعرض النويري لأنواع العنبر وتصنيف درجاته حسب الجودة، وذكر روايتين مختلفتين في أفضل أنواعه، الأولى تذهب إلى أن أجوده ما قذف بحر الهند، فتقول إن «أجود أنواعه وأرفعه وأفضله وأحسنه لوناً وأصفاه جوهراً وأغلاه قيمة العنبر الشحري، وهو ما قذفه بحر الهند إلى ساحل الشحر من أرض اليمن».<sup>(1)</sup>

والثانية تقول إن أفضل ما كان مصدره بحر البربر: «قال التميمي: وزعم الحسين بن يزيد السيرافي أن الذي يقع من العنبر إلى سواحل الشحر شيء تقذفه الأمواج إليها من بحر الهند، وأن أجوده وأفضله ما يقع إلى بحر البربر وحدود بلاد الزنج وما والاها، وهو الأبيض المدور، والأزرق النادر».<sup>(2)</sup>

ويمكن أن نميز جملة من المعايير اتخذها الأقدمون للتعرف إلى

(1) النويري، أحمد بن عبد الوهاب القرشي التيمي البكري، (ت: 733هـ): نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، الطبعة: الأولى، 1423هـ، (12 / 16).

(2) المصدر السابق، (12 / 18).

أفضل أنواع العنبر واستجلاء درجات جودته، وفي هذا السياق  
يمكن تمييز ثلاثة معايير هي:

## 1 - معيار الرائحة

وتقاس جودة العنبر كذلك بجمعه بين طيب الرائحة وقوتها  
في غير عنفوان، ففي (نهاية الأرب): «قال التميمي: وأفضل العنبر  
وأجوده ما جمع قوّة رائحة وذكاء بغير زعارة<sup>(1)</sup>». (2)

## 2 - معيار المصدر

وتصنف أنواع العنبر وفق جودتها حسب ما نقل النووي عن  
التميمي بناء على مصادرها على النحو الآتي:

- العنبر الشحري.

- العنبر الزنجي. (3)

- العنبر الشلاهطي.

- العنبر القاقلي.

(1) يقال «فيه زعارة مُسَدَّدةُ الرّاءِ أي شَرَّاسَةٌ»، الفيومي، أحمد بن محمد، أبو العباس (ت: نحو 770هـ): المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية - بيروت (1 / 253).

والزّعارةُ بِتَشْدِيدِ الرَّاءِ شَرَّاسَةٌ الخُلُقِيُّ وَلَا فَعَلَ لَهُ، والمعنى المراد هنا شدة وقوة الرائحة وعنقوانها حتى تكون مؤذية، الرازي، زين الدين أبو عبدالله محمد بن أبي بكر (ت: 666هـ): مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت، الطبعة: الخامسة، 1420هـ - 1999م، (ص: 136).

(2) النووي، أحمد بن عبد الوهاب القرشي التيمي البكري، (ت: 733هـ): نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب والوثائق القومية- القاهرة، الطبعة: الأولى، 1423 هـ، (12 / 20).

(3) ذكر التميمي في (جيب العروس) الزنجي بعد الشحري مرة، وذكره مرة أخرى بعد الهندي.



- العنبر الهندي.

- الكرك بالوس.

- العنبر المغربي.

والنويري يوضح مصدر وسمة ومزية كل صنف من الأصناف السابقة فيما يلي:

«وبعد العنبر الشحري العنبر الزنجي، وهو الذي يؤتى به من بلاد الزنج إلى عدن، وهو عنبر أبيض. وبعده العنبر الشلاهطي، وهو يتفاضل، وأجود الشلاهطي الأزرق الدسم الكثير الدهن، وهو الذي يستعمل في الغوالي. وبعده الشلاهطي العنبر القاقلي، وهو أشهب، جيّد الرّيح، حسن المنظر، خفيف، وفيه يس يسير، وهو دون الشلاهطي لا يصلح للغوالي ولا للتغلية والتّطهير إلّا عن ضرورة، وهو صالح للذرائر والمكّسات، ويؤتى بهذا العنبر من بحر قاقلة إلى عدن. وبعده القاقليّ العنبر الهندي، يؤتى به من سواحل الهند الداخلة، فيحمل إلى البصرة وغيرها. وبعده الزنجي، يؤتى به من ساحل الزنج؛ وهو شبيه بالهندي ويقاربه. هكذا ذكر التّيمي في (جيب العروس)، فإنّه يجعل الزنجي بعد الشحري وذكر الزنجي أيضاً بعد الهندي. وقال: وعنبر يؤتى به من الهند يسمّى الكرك بالوس وينسب إلى قوم من الهند يجلبونه، يعرفون بالكرك بالوس، يأتون به إلى قرب عمان، يشتريه منهم أصحاب المراكب. قال: وأمّا العنبر المغربي، فإنّه دون هذه الأنواع

كلّهما، يؤتى به من بحر الأندلس. (1)، فتحمله التجار إلى مصر؛ وهو شبيه في لونه بالعنبر الشّحري، وقد يغالط به فيه». (2)

ويتحدث لويس شيخو في كتابه (مجاني الأدب في حدائق العرب) عن جودة عنبر بحر الزنج وساحل الشّحر، قائلاً إن «العنبر أكثره يقع إلى بلاد الزنج وساحل الشّحر من أرض العرب... وأجود العنبر ما وقع إلى هذه الناحية وإلى جزائر الزنج وساحله، وهو المدور الأزرق». (3)

ويذكر في موطن آخر من هذا الكتاب أن العنبر «أجوده ما وقع إلى بلاد بربر أو حدود بلاد الزنج وما والاها. وهو الأبيض المدور والأزرق النادر كبيض النعام أو دون ذلك». (4)

### 3- معيار اللون

للألوان مزية في جودة العنبر، فقد أشار النويري إلى أن العنبر «أجوده الشّمعي اللّون». (5)

(1) قد سبقت الإشارة إلى ما ذكر المقرئ في نفح الطيب من أن «من بحرهما بجهة الغرب يخرج العنبر الجيد المقدم على أجناسه في الطيب والصبر على النار»، فهو يرى خلاف ما أورد النويري بكتابه من تأخر العنبر المغربي الوافد من الأندلس.

انظر: المقرئ، شهاب الدين أحمد بن محمد المقرئ التلمساني (ت: 1041هـ): نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر - بيروت، (1 / 140).

(2) النويري، أحمد بن عبدالوهاب القرشي التيمي البكري، (ت: 733هـ): نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب والوثائق القومية - القاهرة، الطبعة: الأولى، 1423 هـ، (ج: 12 / ص 19-20).

(3) لويس شيخو: رزق الله بن يوسف شيخو (ت: 1346هـ): مجاني الأدب في حدائق العرب، مطبعة الآباء اليسوعيين - بيروت، 1913 م، (ج: 1 / ص: 147 - 148).

(4) المرجع السابق نفسه، (ج: 1 / ص: 148).

(5) النويري، أحمد بن عبدالوهاب القرشي التيمي البكري، (ت: 733هـ): نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب والوثائق القومية - القاهرة، الطبعة: الأولى، 1423هـ، (11 / 295).

وقال ابن سيده: «... وأجوده الأشهب ثم الأزرق ثم الأصفر ثم الأسود».<sup>(1)</sup>

ويقول الثعالبي في كتابه (ثمار القلوب في المضاف والمنسوب):  
«... قَالُوا وَخَيْرُهُ الْأَشْهَبُ ثُمَّ الْأَزْرَقُ وَأَدُونَهُ الْأَسْوَدُ».<sup>(2)</sup>

ويذكر الأبيشي في ذلك أن «أجود العنبر الأشهب، ثم الأزرق، وأدونه الأسود».<sup>(3)</sup>

وقد أبان أبو العلاء المعري عن أنواع العنبر الجيدة والرديئة في شرحه بيت المتنبي:

رجل طينه من العنبر الورِّ دِوطينُ العباد من صلصال

يقول المعري في شرح هذا البيت: «العنبر الورد: الذي يضرب إلى الحمرة، ومنه العنبر الأشهب: الذي يضرب إلى البياض، وهما جيدان. والأسود رديء».<sup>(4)</sup>

وقد ذكر السيوطي نقلاً عن القالي في أماليه أن العنبر الجيد لا يوصف إلا بالشَّهْبَة.

وقال القالي في أماليه: في قول الشاعر:

(1) الدميري، محمد بن موسى، أبو البقاء (ت: 808هـ): حياة الحيوان الكبرى، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الثانية، 1424هـ، (2 / 215).

(2) الثعالبي، عبد الملك بن محمد، أبو منصور (ت: 429هـ): ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، دار المعارف - القاهرة، (ص: 535، 536).

(3) الأبيشي، شهاب الدين محمد بن أحمد بن منصور أبو الفتح (ت: 852هـ): المستطرف في كل فن مستظرف، عالم الكتب - بيروت، الطبعة: الأولى، 1419هـ، (ص: 279).

(4) المعري، أبو العلاء: معجز أحمد، شرح ديوان الشاعر الطيب أبي المتنبي أحمد بن الحسين، ص: 601 ج1.

وَأَلَيْنَ مَنْ مَسَّ الرُّخَامَاتِ تَلْتَقِي بِمَارِنِهِ الْجَادِي وَالْعَنْبَرِ الْوَرْدِ<sup>(1)</sup>

غلط الأعرابي لأن العنبر الجيد لا يوصف إلا بالشُّهْبَة». <sup>(2)</sup>

ويشير البكري في شرح هذا البيت إلى أن نساء العرب كان من عاداتهن تضيخ الأنوف بالطيب، يقول: «إن كان -أي الشاعر- أراد بـ«ألين» الفم فإنه يعني بـ«مارنه» الأنف، وكانت نساء العرب تتلغم بالطيب فتضعه على الأنف وما حوالي الفم قال ذو الرمة:

تثني النقاب على عرنين أرنبه شماء مارنها بالمسك مرثوم

مرثوم أي ملطوخ كما يقال رشم أنفه إذا دقّه فأدماه» <sup>(3)</sup>

(1) في مخصص ابن سيده «في الأنف المارن وهو اللين الذي إذا عطفته تثنى، قال أبو علي: هي الموارن وأصلها من المرون وهو اللين وأنشد: وألين من مس الرخامات يلتقي بمارنه الجادي والعنبر الورد وقيل المارن عامّة الأنف، ثابت، وفيه الأرنبه وهو طرف الأنف وأنشد: تثنى الخمار على عرّين أرنبه شماء مارنها بالمسك مرثوم». ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت: 458هـ): المخصص، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، 1417هـ- 1996م، (1 / 117).

(2) السيوطي: عبدالرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (ت: 911هـ): المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، 1418هـ- 1998م، (2 / 423).

(3) البكري، أبو عبيد عبدالله بن عبدالعزيز البكري الأندلسي (ت: 487هـ): سمط اللآلي في شرح أمالي القالي، نسخه وصححه ونقحه وحقق ما فيه واستخرجه من بطون دواوين العلم: عبدالعزيز الميمني، دار الكتب العلمية، بيروت، (1 / 207).

## سادساً: فوائد العنبر

لحجر العنبر فوائد عديدة، فهو ثروة وقنية ثمينة، وحلي للنساء، وبخور، فضلاً عن فوائده الطبية على نحو ما نشير إليه فيما يلي:

### 1 - العنبر قنية ثمينة

يبدو أن العنبر لنفاسته أصبح ذا مكانة عظيمة لدى الأمراء والملوك في العصور القديمة، وممن كان له اهتمام بهذا الحلي العطر النفيس الخليفة العباسي هارون الرشيد، الذي يبدو أنه قد أصابه شغف به وتوق إلى التعرف على حيثته، خاصة أنه من المواد التي تجمع بين صفتين رائقتين: صفة الحسن والجمال حلياً وزينة، وصفة طيب الرائحة عطراً فواحاً، فكلف هذا الخليفة من يبحث له عن طبيعة هذه المادة المحيرة مصدرًا ومزية وحسنًا وبهاء، ليخلص هذا الباحث إلى أنه بحريّ المنشأ، ولا شك أن ما انتهى إليه هذا الباحث المكلف من قبل الخليفة يمثل خلاصة علوم ومعارف تلك الحقبة الزمنية، يقول الدميري: «ولقد عني الرشيد بالمسألة عن العنبر، فأمر حماداً البدوي في البحث بالمسألة، فكتب إليه أن جماعة

من أهل عدن أعلموه أنه شيء يخرج من عيون في قعر البحر تقذفه  
الريح بالأمواج، كما تخرج أرض هتبة القار وهي أرض الروم الزفت  
الرومي. وآخر جزائر هذا البحر بسرنديب في بحر هر كند وهي  
رأس هذه الجزائر كلها، وفي سرنديب أكثر مغايص اللؤلؤ ونبات  
الجوهر». (1)

ولعظم أهمية العنبر وسمو منزلته لدى الملوك والأمراء اتخذ منه  
الناس هدايا تقدم إليهم، إذ يذكر أبو الفداء في تاريخه (المختصر في  
أخبار البشر) من جملة أحداث سنة 370هـ هدية عنبر عظيمة الوزن  
مقدمة لعضد الدولة، يقول: «ثم دخلت سنة سبعين وثلاثمائة...  
وفيها ورد على عضد الدولة هدية من صاحب اليمن، فيها قطعة  
واحدة من العنبر، وزنها ستة وخمسون رطلاً بالبغدادى». (2)  
ولولا أن للعنبر قيمة عظيمة لما قدم استقلالاً لهدية للملوك.

وقد اختار ابن شهيد العنبر ضمن نفائس مهداة إلى الملك  
الناصر لدين الله، فقد أورد صاحب (أزهار الرياض في أخبار القاضي  
عياض) أنه «في سنة سبع وعشرين وثلاث مائة لثمان خلون من  
شهر جمادى الأولى وردت على الناصر لدين الله هدية وزيره أحمد بن  
عبد الملك بن شهيد العظيمة الشأن التي اشتهر ذكرها إلى الآن ووقع  
الإجماع على أنه لم يهاد أحد من ملوك الأندلس بمثلها، فأعجب

(1) المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي (ت: 346هـ): أخبار الزمان ومن أباده الحدائق  
وعجائب البلدان والغامر بالماء والعمران، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت، 1416هـ - 1996م (ص:  
59).

(2) أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد ابن عمر بن شاهنشاه بن أيوب (ت: 732هـ):  
المختصر في أخبار البشر (تاريخ أبي الفداء)، المطبعة الحسينية المصرية، الطبعة: الأولى، (2 / 121).

الناصر وأهل مملكته جميعاً وأقروا أن نفساً لم تسمح بإخراج مثلها... وتفسير هديته هذه على ما ثبت في كتابه للناصر: وذلك من المال العين خمس مائة ألف دينار ومن العود المرتفع أربع مائة رطل منها في قطعة واحدة مائة وثمانون رطلاً ومن المسك الذكي المفضل في جنسه مائتا أوقية واثنتا عشرة أوقية ومن العنبر الأشهب الذي بقي على خلقتة ولم تدخله صناعة مائة أوقية منها قطعة عجيبة الشكل أربعون أوقية ومن الكافور المرتفع النقي الذكي ثلاث مائة أوقية»<sup>(1)</sup>.

وقد أورد ابن خلدون خبر هدية عظيمة القيمة، جُمعت من أطراف الدولة الأموية، من ضمنها كمية معتبرة من العنبر الأشهب الباقي على طبيعته من غير تصنيع، ضمت قطعة كبيرة الحجم وزنها مائة أوقية، وذلك في حديثه عن ولاية عبدالرحمن الناصر فذكر أنه «استوزر عبدالملك بن جهور بن عبدالملك بن جوهر، وأحمد بن عبدالملك بن سعد وأهدى له هديته المشهورة المتعددة الأصناف. ذكرها ابن حيان وغيره، وهي مما نقل من ضخامة الدولة الأموية واتساع أحوالها، وهي خمسمائة ألف مثقال من الذهب العين، وأربعمائة رطل من التبر ومصارفه خمسة وأربعون ألف دينار. ومن سبائك الفضة مائتا بدرية واثنا عشر رطلاً من العود الهندي ينجتم عليه كالشمع، ومائة وثمانون رطلاً من العود الصمغي المتخير، ومائة رطل من العود الشبه المنقى. ومائة أوقية

(1) المقري، شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني (ت: 1041هـ): أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، تحقيق: مصطفى السقا، عبدالعظيم شلبي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة، 1358هـ - 1939م، (2 / 262).

من المسك الذكي المفضل في جنسه، وخمسمائة أوقية من العنبر الأشهب المفضل في جنسه على خليقته من غير صناعة ومنها قطعة مملمة عجيبة الشكل، وزن مائة أوقية».<sup>(1)</sup>

## 2- العنبر عطر وبخور

لعل من مزايا العنبر طيب الرائحة، فهو بالإضافة إلى كونه حجرًا ثمينًا يعد بخورًا معطرًا، كانت تطيب به أماكن العبادة كالمساجد وغيرها، وتعطر به الأفراح.

روى المقرئ في كتابه (نفع الطيب) طرفًا من أخبار مسجد قرطبة قال فيه: «وكان عدد من يخدم الجامع المذكور بقرطبة في دولة ابن أبي عامر ويتصرف فيه من أئمة ومقرئين وأمناء ومؤذنين وسدنة وموقدين وغيرهم من المتصنفين مائة وتسعة وخمسين شخصًا، ويوقد من البخور ليلة الختمة أربع أواقٍ من العنبر الأشهب وثمانية أواقٍ من العود الرطب، انتهى».<sup>(2)</sup>

كما استخدم الملوك العنبر بخورًا في دورهم الفارهة وسهرات سمرهم اللاهية، فمما أورد ابن المعتز في كتابه طبقات الشعراء من أخبار الشاعر أبي نواس: «حدثني عامة أصحاب أبي نواس منهم

(1) ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد أبو زيد، الإشبيلي (ت: 808 هـ): ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر- بيروت، الطبعة: الثانية، 1408هـ - 1988م، (4 / 177).

(2) المقرئ، شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني (ت: 1041هـ): نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر- بيروت، (1 / 549).



عبدالله بن أحمد بن حرب المعروف بأبي هفان قالوا: بني للمخلوع مجلس لم تر العرب والعجم مثله، قد صور فيه كل التصاوير، وذهب سقفه وحيطانه وأبوابه، وعلقت على أبوابه ستور معصفرة مذهبة، وفرش بمثل ذلك الفرش، فلما فرغ من جميع أسبابه، وعرف ذلك، اختار له يوماً، وتقدم بأن يؤمر الندماء والشعراء بالحضور غدوة ذلك اليوم ليصطحبوا معه فيه، فلم يتخلف أحد، وكان فيمن حضر أبو نواس، فدخلوا فرأوا أسماً لم يروا مثله قط ولم يسمعوا به، من إيوان مشرف فائح فاسح، يسافر فيه البصر، وجعل كالبيضة بياضاً، ثم ذهب بالإبريز المخالف بينه باللازوردي أبواب عظام ومصاريع غلاظ تتلأأ فيها مسامير الذهب، قد قمعت رؤوسها بالجواهر النفيس، وقد فرش بفرش كأنها صبغ الدم، منقش بتصاوير الذهب وتماثيل العقبان ونضد فيه العنبر الأشهب والكافور المصعد وعجين المسك و صنوف الفاكهة».<sup>(1)</sup>

### 3- العنبر حلي وزينة

بالغت المرأة العربية في القرون الوسطى في اقتناء مختلف صنوف الحلبي ومنها قلائد العنبر فقد « تفننت المرأة في ذلك العصر في استكمال زينتها، فلم تقتصر على تخضيب يديها بالحناء، بل اعتادت أيضاً طلاء أظافرها بطلاءٍ أحمر استرعى نظر بعض الرحالة الغربيين هذا خلاف الوشم الذي اعتادت كثيرات من النساء أن يزين به

(1) ابن المعتز، عبدالله بن محمد العباسي (ت: 296هـ): طبقات الشعراء، تحقيق: عبدالستار أحمد فراج، دار المعارف - القاهرة، (ص: 209).

أجزاء مختلفة من أبدانهم فإذا أرادت الواحدة منهم الخروج إلى الطريق العام، ارتدت أفخر ثيابها وتزينت وتعطرت ولبست من الحلي كل ما تقدر عليه؛ ومن هذه الحلي القلائد المصنوعة من العنبر والتي سميت العنبرية».<sup>(1)</sup>

#### 4 - العنبر دواء

للعنبر فوائد طبية عديدة، وقد ذكر الدميري في كتابه (حياة الحيوان) بعض هذه الفوائد، فقال إنه «يقوي القلب والدماغ، نافع من الفالج والقوة والبلغم الغليظ».<sup>(2)</sup>

وقال: «وأما خواصه فقال المختار بن عبدون: العنبر حار يابس، وهو دون المسك، وأجوده الأشهب الخفيف الدسم، وهو يقوي القلب والدماغ، ويزيد في الروح وينفع من الفالج والقوة والبلغم الغليظ، ويولد شجاعة، لكنه يضر من اعتاده الباسور، وتدفع مضرته بالكافور وشم الخيار. ويوافق الأمزجة الباردة الرطبة والمشايخ، وأجوده ما استعمل في الشتاء».<sup>(3)</sup>

وقد نقل النويري عن ابن سينا حديثه عن فوائد هذا الحجر فني (نهاية الأرب في فنون الأدب): «وقال ابن سينا: طبع الكهربا

(1) سعيد عاشور: نظم الحكم والإدارة في عصر الأيوبيين والمماليك- المرأة في الحضارة العربية- المؤسسات الاجتماعية في الحضارة العربية (مطبوع ضمن موسوعة الحضارة العربية الإسلامية)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة: الأولى 1987م، (ص: 321).

(2) الدميري، محمد بن موسى، أبو البقاء (ت: 808هـ): حياة الحيوان الكبرى، دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة: الثانية، 1424هـ، (2 / 215).

(3) المرجع السابق، (2 / 216)

حارّ قليلاً، يابس في الثالثة؛ وهو قابض وخصوصاً للدم من أي موضع كان. قال، وقال بعضهم: إنّه يعلّق على الأورام الحارّة فينفع منها؛ وهو يجبس الرّعاف؛ وإذا شرب منه نصف مثقال بماء بارد نفع من الخفقان؛ ويمنع من نفث الدم جدّاً؛ وهو يجبس القيء؛ ويمنع الموادّ الرديئة عن المعدة؛ ومع المصطكا يقوّى المعدة وهو يجبس نرف الرّحم والمقعدة، وينفع من الرّحير». (1)

وقد تضمنت أبحاث ودراسات حديثة مزايا وفوائد كثيرة منها أنه «قديمًا كان يُعتقد أنّ لأحجار الكهرمان القدرة على الشفاء من أمراض مثل الربو ووباء الطاعون فكان يتم طحنه وخلطه مع العسل لهذه الغاية، وكما كان يُعتقد أنّ له القدرة على تسكين الألم الناتج عن التسنين للأطفال الرضع فكان يتم وضعه في قلادة ووضعها على رقبة الطفل. ومن الخرافات التي كانت سائدة فيما مضى عن الكهرمان أنّه يستطيع الحماية من الشر والأذى فقد كان البحارة يحرقون الكهرمان حول سفنهم حتى تتيسر رحلتهم. وكما كانت الأمهات تُحرق الكهرمان بجانب أطفالهم لكي ينمو بصحة جيدة». (2)

ومن مزاياه كونه مريحاً وخفيف الوزن وجميلاً للغاية، بالإضافة إلى أنه يشع طاقات السلام والهدوء لمن يرتديه... فمعظم خصائصه الفريدة من نوعها والرائعة تكمن في استخدامه بديلاً طبيعيّاً خالياً

(1) النويري، أحمد بن عبدالوهاب القرشي التيمي البكري، (ت: 733هـ): نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة- الطبعة: الأولى، 1423هـ، (11 / 296 - 297).

(2) ما هو الكهرمان؟ ضمن موقع: موضوع.كوم

من المخدرات، ولا يقتصر دوره هنا فحسب، بل يعرف بأنه مسكن ذو خصائص مضادة للالتهابات مما أكسبه صفة مثالية كونه منتجاً طبيعياً لمعالجة الأطفال والبالغين على نحو فريد.

ومن أهم هذه الفوائد بالنسبة للأطفال الصغار والرضع:

- تعزيز الجهاز المناعي.
- تخفيف الالتهابات (وخاصة في اللثة).
- تسريع عملية الشفاء الطبيعية.
- تخفيف آلام التسنين.
- توفير الآثار المهدئة بدون استخدام العقاقير.
- يعمل منشطاً طبيعياً.
- يعمل مسكناً طبيعياً (للتخفيف أو القضاء على الآلام المصاحبة للتسنين والصداع وتصلب المفاصل وغيرها).
- وللكهرمان - حسب هذه الدراسات - فوائد كثيرة أخرى، منها أنه:
  - يعالج كلاً من الحلق والمعدة والطحال والكلى والمثانة والمرارة، كما يعمل على تخفيف مشاكل المفاصل ويقوي الأغشية المخاطية.
  - من فوائد الكهرمان أيضاً أنه يحسن الشعور بالجسم من خلال تقوية الذاكرة والذكاء.
  - يساعد على التهدئة العاطفية والتوسيط العاطفي.
  - يعد بلورة أساسية ممتازة.
  - يحول الطاقة السلبية إلى طاقة إيجابية.
  - يشع طاقة دافئة ومشرقة.

- يساعد في تحسين أداء البطن والمثانة والدم والعينين والكلى والمعدة وتنشيط الأنسجة ويعزز صحة الحلق والكبد وعلاج مشاكل المفاصل.<sup>(1)</sup>

ولعل أبرز استخداماته وأكثرها ذيوغاً وانتشاراً بين الشعوب أنه يستخدم للتقليل من آلام التسنين عند الأطفال، وذلك لأن العنبر يحتوي على حمض السكسينيك المسؤول عن معظم الفوائد التسنين، كما أن فوائد العنبر لتسنين الأطفال العنبر كانت معروفة قبل الحرب العالمية الثانية، فقد تم إعطاء الأطفال في ألمانيا وبعض البلدان الأخرى خرز العنبر لارتدائها، وفي بلدان مثل ليتوانيا تم تدليك أسنان الأطفال بالعنبر؛ لتقليل الألم المرتبط بالتسنين، وإلى يومنا هذا تحظى القلائد المصنوعة من العنبر بشعبية كبيرة بين الآباء الذين يريدون حلاً طبيعياً للتسنين الطفل.

ويمتاز زيت العنبر المصنوع من شجرة الراتنج بخصائص علاجية عند فركه بالجلد أو تدليك الجلد به، فهو يكافح الشيخوخة ويعمل على تجديد البشرة، ويعالج حروق البشرة والكدمات. يعمل مسحوق العنبر على علاج الأوعية الدموية الصغيرة ومرض الغدة الدرقية، ويحسن من صحة الشعر.<sup>(2)</sup>

(1) فوائد حجر الكهرمان، ضمن موقع أحجار موسوعة الأحجار الكريمة، 14 يونيو 2016

<https://www.gemstones-ar.com>

(2) ما هو العنبر؟ ضمن موقع: موضوع.كوم

<https://mawdoo3.com>



## سابعًا: أحكام ذات صلة بالعنبر

كما تحدث علماء اللغة والأطباء والأدباء عن العنبر خاض الفقهاء في أحكام العنبر الخارج من البحر، فقد «قال الماوردي والرويانى في كتاب الزكاة: لا زكاة في العنبر والمسك. وقال أبو يوسف: فيها الخمس. وقال الحسن وعمر بن عبدالعزيز وعبدالله العنبري وإسحاق: يجب الخمس في العنبر. واحتج الشافعي عليهم بقول ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في العنبر، إنما هو شيء دسره البحر<sup>(1)</sup>، أي لفظه، وليس بمعدن حتى يجب فيه الخمس. وروي عنه صريحًا أنه قال: لا زكاة فيه.

وروى جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «العنبر ليس بغنيمة»، وهذا ينفي وجوب الزكاة فيه. قالوا، أي الماوردي والرويانى: وأكثر الفقهاء على أن العنبر طاهر، وقال الشافعي: سمعت من قال: رأيت العنبر نابتًا في البحر، ملتويًا مثل عنق الشاة. وقيل: إن أصله نبت في البحر وله رائحة ذكية. وفي البحر دويبة تقصده

(1) البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله: الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه (صحيح البخاري)، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبدالباقي)، الطبعة: الأولى، 1422هـ، (2 / 129)، ولفظ الحديث: (وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «لَيْسَ الْعَنْبَرُ بِرِكَازٍ هُوَ شَيْءٌ دَسَرَهُ الْبَحْرُ».

لذكاء رائحته، وهو سمها، فتأكله فيقتلها ويلفظها البحر، فيخرج العنبر من بطنها.

وقالا في كتاب السلم: يجوز السلم في العنبر، ولا بد من بيان أنواعه ووزنه، فالعنبر منه الأشهب والأبيض والأخضر والأسود ولا يجوز حتى يسمى ذلك. وقال الشافعي: يجوز بيع العنبر، وقال أهل العلم به: إنه نبات والنبات لا يحرم منه شيء. قال: وحدثني بعضهم، أنه ركب البحر فوقع إلى جزيرة فيه، فنظر إلى شجرة مثل عنق الشاة، فإذا ثمرها عنبر، قال: فتركناه حتى يكبر ثم نأخذه، فهبت الريح فألقتة في البحر. قال الشافعي: والسّمك ودواب البحر تبتلعه أول ما يقع منه، لأنه لين، فإذا ابتلعتة قلما تسلم منه إلا قتلها لفرط الحرارة فيه، فإذا أخذ الصياد السمكة، وجده في بطنها فيقدر أنه منها، وإنما هو ثمر نبت. (1)

---

(1) الدميري، محمد بن موسى، أبو البقاء (ت: 808هـ): حياة الحيوان الكبرى، دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة: الثانية، 1424هـ، (2 / 215 - 216).



## ثامناً: العنبر الأشهب في الأدب العربي

لما كان الشاعر كثير الاعتناء بالجمال مفتوناً بالطيب صار من الطبيعي أن نجد إشارات كثيرة إلى العنبر في شعرنا العربي، إذ الشاعر -بطبيعة حسه المرهف- ملهم لصناع الطيوب، إذ تذكر الرواية أن عبدالله بن جعفر أهدى لمعاوية قارورة من الغالية، فسأله: كم أنفق عليها، فذكر ما لا جزيلاً، فقال: هذه غالية فسميت بذلك. وشمها مالك بن سليمان بن خارجة من أخته هند بنت أسماء فقال: علميني كيف تصنعين طيبك؟

فقالت: لا أفعل، تريد أن تعلمه جواريك، هو لك مني كلما أردته، ثم قالت: والله إني ما تعلمته إلا من شعرك حيث تقول:  
أطيب الطيب عرف أم أبان فار مسك بعنبر مسحوق<sup>(1)</sup>

ولعل من الطريف أن يهتدي الشاعر العربي القديم إلى نسب موصول بين العنبر والصنوبر، حيث أكدت الدراسات الحديثة أن العنبر «هو عبارة مادة صمغية لونها برتقالي، تفرزها فصيلة

(1) الأبيشي، شهاب الدين محمد بن أحمد بن منصور أبو الفتح (ت: 852هـ): المستطرف في كل فن مستظرف، عالم الكتب - بيروت، الطبعة: الأولى، 1419هـ، (ص: 278).

من أشجار الصنوبريات المعمرة، والتي يزيد عمرها عن ملايين  
السنين، وتنتشر هذه الأشجار في أوروبا الشمالية»<sup>(1)</sup>.

يقول ابن رافع القيرواني:

يا حسنة في العين من صنوبر  
يحكى لنا جماجماً من عنبر  
يفلق عن حبّ إذا لم يكسر  
مصنل إن شئت أو معصر  
كمثل أصداف نفيس الجواهر<sup>(2)</sup>

فالشاعر بصورة الشعرية فطن لوجود صلة وثقى بين الصنوبر  
والعنبر ونفيس الجواهر.

ويلحظ المتبع لحديث الشعراء عن العنبر حذقهم بطبيعة هذا  
الحجر الغالي الثمين ومعرفتهم بأنواعه الجيدة، فقد أكثروا في  
شعرهم من ذكرهم لعنبر الشُّحْر، ففي (زهر الآداب وثمر الألباب)  
قول الشاعر أبي الفتح كشاجم<sup>(3)</sup>:

مزاجك للمثنى من العود والصبأ      من الرّيح والصابي الرقيق من الخمر  
فلو كنت ورداً كنت ورداً مضاعفاً      ولو كنت طيباً كنت من عنبر الشُّحْر

وسبقت الإشارة إلى أن هذا العنبر مضاف إلى الشحر الذي هو

(1) ضمن موقع وزى وزى

<https://weziwezi.com>

(2) النويري، أحمد بن عبد الوهاب القرشي التيمي البكري، (ت: 733هـ): نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب  
والوثائق القومية، القاهرة، الطبعة: الأولى، 1423هـ، (11 / 99).

(3) الخُصري، إبراهيم بن علي بن تميم الأنصاري، أبو إسحاق القيرواني (ت: 453 هـ): زهر الآداب وثمر الألباب،  
دار الجيل، بيروت، (2 / 619).

«سَاحِلُ الْيَمَنِ، قَالَ الْأَزْهَرِيُّ: فِي أَقْصَاهَا، وَقَالَ ابْنُ سَيْدَةَ: بَيْنَهَا وَبَيْنَ عُمانَ. وَيُقَالُ: شَحْرُ عُمانَ وَشَحْرُ عُمانَ، وَهُوَ سَاحِلُ الْبَحْرِ بَيْنَ عُمانَ وَعَدَنَ»<sup>(1)</sup>.

وقد وظف الشعراء العنبر في مختلف أغراضهم الشعرية، ففي غرض المديح النبوي وظف الشعراء أجود أنواع العنبر في مدح الرسول عليه الصلاة والسلام ناعتين طيب الثرى النبوي بأنه أذكى ريجاً وأعطر شذاً من العنبر الشحري الذي هو أجود العنبر كما أوضحنا سابقاً، يقول القاسم بن علي بن هتميل الخزاعي (695 هـ) في مدحه عليه الصلاة والسلام:

وانزل بطيئة تنزل بين منبرها      وقبرها بين جنات وأنهار  
حيث الثبوة والنور الذي نسخت      بهديه ظلم الدنيا بأنوار  
وحيث تلثم من أرض النبي ثرى      أذكى من العنبر الشحري والداري  
بواحد ما له ثانٍ يائله      فضلاً وإن كان ثاني اثنين في الغار

وبالأسلوب ذاته في توظيف العنبر الشحري يصف حمدون بن الحجاج السلمي (1232 هـ) الثرى النبوي الطاهر:

ثم لنا سُكاري من شمائل ما جرت      بأسماعنا إلا وأرسلت الغيثا  
ثراك رسول الله أشفى لشتفٍ      من العنبر الشحري والمسك قدبثا

وفي غرض المدح يذكر المتنبي العنبر الوردية أو الورد في قصيدة يمدح فيها عبدالرحمن بن المبارك الأنطاكي، فقال:

(1) ابن منظور، محمد بن مكرم (ت: 711هـ): لسان العرب، دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة - 1414 هـ، 4) .398 /

## رجل طينه من العنبر الورد دوطين العباد من صلصال

يقول المعري في شرح هذا البيت: «العنبر الورد: الذي يضرب إلى الحمرة، ومنه العنبر الأشهب: الذي يضرب إلى البياض، وهما جيدان. والأسود رديء. والصلصال: طين يابس، وهو الذي له صوت. يقول: إن طينه الذي خلق منه عنبر الورد، وطين غيره من صلصال، فله فضل على الناس».<sup>(1)</sup>

ونجد الشاعر أحمد بن محمد التغلبي المعروف بابن الخياط (517هـ) ينعت أفعال ممدوحه فيجعلها فواحة بالطيب كالعنبر، يقول:

تَسْرَبَلَتْ عَضْبَ الدَّوْلَةِ المُلْكِ فَخَرُهُ    وَما الفَخْرُ إِلَّا لِلسُّيُوفِ البَوَاتِرِ  
وَما كانَ إِلَّا العَنْبَرَ الوردَ فَعَلُهُ    أُضِيفَ إِلَى نَشْرِ مِنَ المِسْكِ عَاطِرِ

ويتخذ الشاعر إدريس بن محمد العمراوي الإدريسي (1296هـ) الأسلوب ذاته في التعبير عن طيب الشمائل المضاهية لأطيب أنواع العنبر يقول:

تبارك الله ما أحلى شمائله    ما العنبر الشحر؟ ما الريحان؟ ما الزهر؟

ويوظف ابن سهل الأندلسي (649هـ) العنبر في الثناء على ممدوحه الذي تنكشف أفضاله في أوقات الشدة وأزمات الخطوب كما تتجلى الطيوب الفواحة عطراً وشذاً من العنبر عند إحراقه، يقول:

(1) المعري، أبو العلاء: معجز أحمد شرح ديوان أبي الطيب المتنبّي أحمد بن الحسين، ص: 106 ج1.

عِنْدَ الْخُطُوبِ الْنُكْرِ يَدُ وَفَضْلُكُمْ وَالنَّارُ تُخْصِرُ عَنْ ذِكَاةِ الْعَنْبَرِ

وقد أكثر الشعراء في غرض الغزل من تصويرهم محبوباتهم بنعتهن حُسْنًا وجمالًا وطيبَ رائحةٍ بأنهن كالعنبر، يصف ابن الوردي عمر بن مظفر (749هـ) محبوبه بأنه بحر زاجر ترمي سواحلها العنبر، يقول (من بحر السريع):

بِخُدِّهِ آيَاتٌ حَسَنٌ وَمَنْ إِذَا رَأَى الْآيَاتِ لَا يُبْهَرُ  
أَوْ هُوَ بَحْرٌ مِنْ حَيَاةٍ طَمًا يُزْجِي إِلَى سَاحِلِ الْعَنْبَرِ

وقد وظف محمد بن محمد بن نباتة العنبر الأشهب في تصوير جمال محبوبه الأشهب، يقول:

وَأَشْهَبٌ أَعْجَبَنِي حَسَنُهُ وَمِثْلُ مَحَاسِنِهِ يَعْجَبُ  
وَقَدْ عَنَبَ النَّقْعَ أَعْطَافَهُ فَيَا حَبِّذَا الْعَنْبَرَ الْأَشْهَبِ<sup>(1)</sup>

ويوظف الشاعر أبو نواس الحسن بن هانئ (198هـ) العنبر الهندي الجيد في نعت محبوبه قائلاً:

أَيَّامَنْ أَخْلَفَ الْوَعْدَ وَقَدْ حَالَ عَنِ الْعَهْدِ  
وَمَنْ لَوْ كَانَ فِي الطَّيْبِ لَكَانَ الْعَنْبَرُ الْهِنْدِي

ويوظف محمد بن عبدوس الواسطي (601هـ) الصورة ذاتها في تصوير محبوبه:

(1) القرشي: أحمد بن يحيى العدوي العمري، شهاب الدين (ت: 749هـ): مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، المجمع الثقافي - أبو ظبي، الطبعة: الأولى، 1423هـ، (19 / 655).

فَجَرِ الصَّبَا فِي وَجَّتَيْهِ غَدَا      يَمُوجُ مِثْلَ الْبَحْرِ الْجَائِلِ  
أَمَاتِرَاهُ إِذْ طَفَا مَأْوُهُ      قَدْ قَذَفَ الْعَنْبَرَ فِي السَّاحِلِ

ويوازن ابن الرومي علي بن العباس (283 هـ) بين شعره الخالد  
والعنبر الأخضر الذي هو أفضل الطيوب عاتباً على من حجبوا  
عنه هداياهم، فيقول (من السريع):

نِعَالُ كِنْبَايَةٍ وَالْعَنْبَرُ      وَمِسْكُ دَارِينِكُمْ الْأَذْفَرُ  
وَمَنْدَلُ الْهِنْدِ الَّذِي يُرْتَضَى      يُقَسَمُ فِي النَّاسِ وَلَا تُدَكَّرُ  
يَا مَانِعِينَا مِنْ هَدَايَاكُمْ      ثَنَاؤُنَا مِنْ عَطْرِكُمْ أَعْطَرُ  
ثَنَاؤُنَا يَبْقَى وَيَطْوِي الْفَلَاحَ      طَيِّبًا فَلَا يُثْنَى وَلَا يُقْصَرُ  
وَعَطْرِكُمْ تَدْرُسُ آثَارُهُ      وَيَسَامُ السَّيْرَ وَلَا يَفْخَرُ  
أَقْسَمْتُ بِالْكَأْسِ إِذَا أَعْمَلْتُ      وَاصْطَخَبَ الْمَزْمَارَ وَالْمَرْهَرَ  
لَوْ جَاءَنَا الْعُودُ وَأَتْبَاعُهُ      وَخَيْرُهُنَّ الْعَنْبَرَ الْأَخْضَرَ  
لَقَدْ غَدَا يُثْنَى بِهِ شِعْرُنَا      أَضْعَافَ مَا يُثْنَى بِهِ الْمَجْمَرُ

ويصور ابن دانيال الموصللي (710 هـ) غصوناً تحمل الثمار بالقدود  
الحسان تزيّن بخرز العنبر:

كَأَنَّ الْغُصُونَ وَقَدْ أَيْنَعَتْ      بِحَمَلٍ قَرَاصِيهَا الْأَغْبَرِ  
قَدُودٌ حَسَانٌ لَبَسْنَ الْحَرِيرَ      وَقَلْدُنْ مِنْ خَرَزِ الْعَنْبَرِ

وينعت الشاعر أبو تمام حبيب بن أوس الطائي (231 هـ) طيب  
زمان وصاله الهني الممتع مشبهاً إياه بالعنبر الهندي الجيد:

فَلَا يَبْعُدُ زَمَانٌ مِنْكَ عِشْنَا      بِنَضْرَتِهِ وَرَوْنَقِهِ الْعُجَابِ  
كَأَنَّ الْعَنْبَرَ الْهِنْدِي فِيهِ      وَفَارَ الْمِسْكِ مَفْضُوضِ الرُّضَابِ

المبحث الثاني

## السبح العنبرية





## أولاً: تعريف السبحة في اللغة والاصطلاح

السُّبْحَةُ مشتقة من مادة (سَبَحَ) وترجع معظم دلالاتها إلى معان

دينية ذات صلة بالذكر والتسبيح لله جل وعلا، من ذلك:

- «سُبْحَاتُ وَجْهِ اللَّهِ: جَلَالُهُ وَعَظَمَتُهُ، وَهِيَ فِي الْأَصْلِ جَمْعُ سُبْحَةٍ؛ وَقِيلَ: أَضْوَاءٌ وَجْهَهُ؛ وَقِيلَ: سُبْحَاتُ الْوَجْهِ مَحَاسِنُهُ لِأَنَّكَ إِذَا رَأَيْتَ الْحَسَنَ الْوَجْهَ قُلْتَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَقِيلَ: مَعْنَاهُ تَنْزِيهِ لَهُ أَيُّ سُبْحَانَ وَجْهِهِ»<sup>(1)</sup>.

- و«السُّبْحَةُ أَيضًا التَّطَوُّعُ مِنَ الذِّكْرِ وَالصَّلَاةِ تَقُولُ مِنْهُ قَضَيْتُ سُبْحَتِي»<sup>(2)</sup>.

- و«السُّبْحَةُ: الدُّعَاءُ»<sup>(3)</sup>.

- و«التَّسْبِيحُ التَّنْزِيهُ» و(سُبْحَانَ) اللهُ مَعْنَاهُ التَّنْزِيهُ لِلَّهِ وَهُوَ نَضْبٌ عَلَى الْمُسَدَّرِ كَأَنَّهُ قَالَ: أَبْرَأُ إِلَى اللَّهِ مِنْ كُلِّ سُوءٍ بَرَاءَةً»<sup>(4)</sup>.

(1) ابن منظور، محمد بن مكرم (ت: 711هـ): لسان العرب، دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة - 1414هـ، (473/2).

(2) الرازي، زين الدين أبو عبدالله محمد (ت: 666هـ): مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية - الدار النموذجية - بيروت، الطبعة: الخامسة، 1420هـ - 1999م، (ص: 140).

(3) الزبيدي، محمد بن محمد (ت: 1205هـ): تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، (6 / 449).

(4) الرازي، زين الدين أبو عبدالله محمد (ت: 666هـ): مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية - الدار النموذجية - بيروت، الطبعة: الخامسة، 1420هـ / 1999م، (ص: 140).

- والسُّبْحَةُ: «صَلَاةُ التَّطَوُّعِ، وَالنَّافِلَةُ: يُقَالُ: فَرَغَ فُلَانٌ مِنْ سُبْحَتِهِ، أَي مِنْ صَلَاةِ النَّافِلَةِ، سُمِّيَتْ الصَّلَاةُ تَسْبِيحًا لِأَنَّ التَّسْبِيحَ تَعْظِيمُ اللَّهِ وَتَنْزِيهُهُ مِنْ كُلِّ سُوءٍ»<sup>(1)</sup>.

- و«المُسَبَّحَةُ الإِصْبَعُ الَّتِي تَلِي الإِبْهَامَ اسْمٌ فَاعِلٍ مِنْ التَّسْبِيحِ»<sup>(2)</sup>.

وفي (تحرير ألفاظ التنبيه) للنووي: «المسبحة بكسر الباء وهي الإصبع التي تلي الإبهام سميت بذلك لأنه يشار بها إلى التوحيد فهي مسبحة منزهة»<sup>(3)</sup>.

وفي (النهاية في غريب الحديث والأثر) لابن الأثير: «المُسَبَّحَةُ: الإِصْبَعُ الَّتِي تَلِي الإِبْهَامَ، سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّهَا يُشَارُ بِهَا عِنْدَ التَّسْبِيحِ»<sup>(4)</sup>.

وقد عرف علماء اللغة السُّبْحَةَ تعريفات متقاربة في معناها تشير كلها إلى معاني العُدِّ للتسبيح بالخرز المنظوم، ومن هذه التعريفات:

- تعريف الإمام الخليل بن أحمد الفراهيدي وغيره: «السُّبْحَةُ: خِرَزَاتٌ يُسَبَّحُ بِعَدِّهَا»<sup>(5)</sup>.

(1) الزبيدي، محمّد بن محمّد (ت: 1205هـ): تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، (6 / 449).

(2) الفيومي، أحمد بن محمد بن علي، أبو العباس (ت: نحو 770هـ): المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية - بيروت، (1 / 262).

(3) النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف (ت: 676هـ): تحرير ألفاظ التنبيه، تحقيق: عبدالغني الدقر، دار القلم - دمشق، الطبعة: الأولى، 1408، (ص: 69).

(4) ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد (ت: 606هـ): النهاية في غريب الحديث والأثر، المكتبة العلمية - بيروت، 1399هـ - 1979م، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي، (2 / 332).

(5) انظر: الفراهيدي: أبو عبدالرحمن الخليل بن أحمد البصري (ت: 170هـ): كتاب العين، تحقيق: دمهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، (3 / 152).

- الرازي، زين الدين أبو عبدالله محمد (ت: 666هـ): مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية - الدار النموذجية - بيروت، الطبعة: الخامسة، 1420هـ - 1999م، (ص: 140).

وتعريف ابن سيده في مخصه القريب منه: «السُّبْحَةُ - الخَرْزُ  
الَّذِي يُسَبَّحُ بَعْدَهَا». (1)

ويعرف الأزهري السبحة مشيراً إلى استحداث هذه الكلمة، فهي  
مولدة جديدة: «وَيَقَالُ لِهَذِهِ الْخَرْزَاتِ الَّتِي يُعَدُّ بِهَا الْمُسَبِّحُ تَسْبِيحَهُ  
السُّبْحَةُ وَهِيَ كَلِمَةٌ مَوْلَدَةٌ». (2)

وعنه نقل صاحب اللسان هذا التعريف: «وَالسُّبْحَةُ: الْخَرْزَاتُ  
الَّتِي يُعَدُّ الْمُسَبِّحُ بِهَا تَسْبِيحَهُ، وَهِيَ كَلِمَةٌ مَوْلَدَةٌ». (3)

ولعل التعريف الأهم والأوفى دلالة والأخصى وظيفة للسبحة  
هو تعريف الزبيدي في تاجه، يقول: «وَالسُّبْحَةُ بِالضَّمِّ: خَرْزَاتٌ  
تُنْظَمْنَ فِي خَيْطٍ لِلتَّسْبِيحِ، تُعَدُّ وَهِيَ كَلِمَةٌ مَوْلَدَةٌ؛ قَالَ الْأَزْهَرِيُّ.  
وَقَالَ الْفَارَابِيُّ، وَتَبَعَهُ الْجَوْهَرِيُّ: السُّبْحَةُ: الَّتِي يُسَبَّحُ بِهَا. وَقَالَ  
شَيْخَنَا: إِنَّهَا لَيْسَتْ مِنَ اللَّغَةِ فِي شَيْءٍ، وَلَا تَعْرِفُهَا الْعَرَبُ، وَإِنَّمَا  
أُحْدِثْتُ فِي الصَّدْرِ الْأَوَّلِ إِعَانَةً عَلَى الذِّكْرِ وَتَذْكَيراً وَتَنْشِيطاً». (4)

إن تعريف الزبيدي هذا فيه مزيد بيان وتوضيح على التعريفات  
السابقة، إذ يشير إلى صفة الانتظام في خيط جامع للخرز، وهو ما  
يميز السبحة، ويحدد خصوصيتها عن سائر أنواع العدد المختلفة

(1) ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت: 458هـ): المخصص، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، 1417هـ - 1996م، (5 / 233).

(2) الأزهري، محمد بن أحمد، أبو منصور (ت: 370هـ): تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، 2001م، (4 / 198).

(3) ابن منظور، محمد بن مكرم (ت: 711هـ): لسان العرب، دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة - 1414هـ، (2 / 473).

(4) الزبيدي، محمد بن محمد (ت: 1205هـ): تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، (ج: 6 / ص 448 - 449).

للتسييح مما كان معروفًا سائدًا لدى قدماء المسيحيين العاديين من استخدام الأصابع أو النوى أو الحصى أو غيرها في تسييحهم.

والزبيدي في تعريفه يؤكد على حداثة هذه الكلمة وجدتها على العرب، إذ لم تكن معروفة لديهم.

وهو بالإضافة إلى ذلك يذكر وظيفة السبحة التي استحدثت لأجلها، ويحصرها في ثلاث فوائدها:

1- الإعانة على الذكر: فهي وسيلة مساعدة للمسبح على ضبط تسييحه وحصره وعده وفق ما هو مطلوب منه في سنة التسييح.

2- التذكير: إذ أن وجود آلة للتسييح عامل تذكير للغافل، فمن يرى السبحة ينصرف إلى الذكر، فتكون موقظة باعثة له عليه.

3- التنشيط: أي أن السبحة بما فيها من حركة ونشاط تساعد الذاكرين على الدأب والدوام والاستمرار في الذكر لما في حركتها من حيوية ونشاط.

وخرزات السبحة بانتظامها في خيط جامع تضم كذلك فواصل من خرز ميمز للفصل بين مجاميع عديدة من هذا الخرز وفق المطلوب في السنة من التسييح والتحميد والتكبير، وتسمى هذه الفواصل المميزة بنُدًا، ففي تاج العروس: «الْبُنْدُ يُطَلَقُ عَلَى الْمَحَابِسِ الَّتِي تُجْعَلُ بَيْنَ حَبَّاتِ السُّبْحَةِ لِئَعْلَمَ بِهَا عَلَى الْمَحَلِّ الَّذِي يَقِفُ عِنْدَهُ الْمُسَبِّحُ عِنْدَ عُرُوضِ شَاغِلٍ. قَالَ: قُلْتُ: وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ مُوَلَّدٌ، بَلْ مُحَدَّثٌ، قُلْتُ: وَهُوَ كَذَلِكَ

فارسي مُعرب وأصل البندِ العَقْدُ، وَيَطْلَقُ عَلَى تِلْكَ العُقْدِ  
مَجَازًا<sup>(1)</sup>.

وقد تَبِعَتْ التعريفات المعاصرة في معظمها تعريف الزبيدي، من  
ذلك تعريف الشيخ عطية صقر: «السبحة، بضم السين المهملة  
وسكون الباء الموحدة، هي الخرز المنظوم والتي يعد بها الذكر  
والتسبيح، وقيل: إنها عربية وتجمع على «سُبُح» بضم السين وقيل  
إنها مولدة»<sup>(2)</sup>.

وتعريف القاموس الفقهي: «السبحة: خرزات منظومة يسبح  
بها»<sup>(3)</sup>.

(1) الزبيدي، محمد بن محمد (ت: 1205هـ): تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين،  
دار الهداية، (7 / 451).

(2) دار الإفتاء المصرية: فتاوى دار الإفتاء المصرية، (9 / 11)، بترقيم الشاملة آليًا) موضوع: المسبحة، المفتي:  
عطية صقر، مايو 1997، السؤال: يقول بعض الناس إن التسبيح على السبحة بدعة، فهل هذا صحيح؟

(3) سعدي، الدكتور أبو حبيب: القاموس الفقهي لغة واصطلاحًا، دار الفكر- دمشق، الطبعة: الثانية 1408 هـ -  
1988 م، (7 / 451).



## ثانياً: تاريخ ظهور السبحة

يعود تاريخ ظهور واستخدام السبحة وسيلةً لعدِّ الذكر لآماد ضاربة في القدم، و«إحصاء الذكر بالسبحة من اختراع الهند، كما يقول الأستاذ السيد أبو النصر أحمد الحسيني «مجلة ثقافة الهند- سبتمبر 1955» اخترعه الدين البرهمي فيها، ثم تسرب إلى البلاد والأديان الأخرى، وتسمى السبحة في اللغة السنسكريتية القديمة في الهند «جب ما لا «أي عقد الذكر»».<sup>(1)</sup>

وقد عرفت الحضارة العربية الإسلامية السبحة، ويرجع بعض الباحثين تاريخ ظهور السبحة لدى المسلمين إلى نهاية القرن الثاني الهجري، حيث ورد ذكرها في قصيدة لأبي نواس خاطب بها الوزير ابن الربيع في عهد الأمين «193-198» يقول فيها:

المسايح في ذراعي والمصحف في لبتى مكان القلادة

وهو أقدم ذكر للسبحة بالشعر العربي فيما يعلم.<sup>(2)</sup>

(1) دار الإفتاء المصرية: فتاوى دار الإفتاء المصرية، (9 / 11، بترقيم الشاملة آلياً) موضوع: المسبحة، المفتي: عطية صقر، مايو 1997، السؤال: يقول بعض الناس إن التسبيح على السبحة بدعة، فهل هذا صحيح؟

(2) المصدر السابق.

وتفنن المسلمون في أنواعها وأشكالها حتى صارت من أهم التحف المتداولة التي يتهدى بها في ديار الإسلام، وازداد الاهتمام بها منذ ظهورها، فشغلت حيزاً كبيراً في التراث الديني والأدبي والاقتصادي، نبرز جوانب منه فيما يلي..



## ثالثاً: السبحة من منظور شرعي

جاء الأمر بالذكر في النصوص القرآنية مطلقاً كما في الآية: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا. وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا } (1)

وقد ورد في السنة تحديد جملة من الأذكار المحددة بأعداد معينة، كما في قوله عليه الصلاة والسلام: «أَفَلَا أَعَلَّمَكُم شَيْئًا تَذُرُّوْنَ بِهِ مَنْ سَبَقَكُم وَتَسْبِقُونَ بِهِ مَنْ بَعْدَكُم، وَلَا يَكُونُ أَحَدٌ أَفْضَلَ مِنْكُمْ إِلَّا مَنْ صَنَعَ مِثْلَ مَا صَنَعْتُمْ؟ قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: تُسَبِّحُونَ، وَتُكَبِّرُونَ، وَتَحْمَدُونَ، ذُبِرَ كُلُّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ مَرَّةً». (2)

وقد شهد صدر الإسلام ظهور وسائل مختلفة لعد الذكر، أجملها الشيخ عطية صقر فيما يلي (3):

1 - في مسند أحمد (في باب الزهد) أن أبا صفية - وهو رجل من الصحابة - كان يسبح بالحصي. وجاء في معجم الصحابة للبغوي أن

(1) الأيتان: 41 - 42 من سورة الأحزاب.

(2) مسلم بن الحجاج، أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: 261هـ): الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، (1 / 416).

(3) دار الإفتاء المصرية: فتاوى دار الإفتاء المصرية، (9 / 11، بتقييم الشاملة آلياً) موضوع: المسبحة، المفتي: عطية صقر، مايو 1997، السؤال: يقول بعض الناس إن التسبيح على السبحة بدعة، فهل هذا صحيح؟

أبا صفية - وهو مولى النبي صلى الله عليه وسلم - كان يوضع له نطع (فراش من جلد) ويجاء بزنبيل فيه حصي فيسبح به إلى نصف النهار، ثم يرفع، فإذا صلى الأولى أتى به فيسبح به حتى يمسي.

2- وروى أبو داود أن أبا هريرة كان له كيس فيه حصي أو نوى يجلس على السرير، وأسفل منه جارية سوداء، فيسبح حتى إذا نفذ ما في الكيس فدفعته إليه يسبح. ونقل ابن أبي شيبة عن عكرمة أن أبا هريرة كان له خيط فيه ألفا عقدة، فكان لا ينام حتى يسبح به اثني عشر ألف تسيحة.

3- وأخرج أحمد أيضًا في باب الزهد أن أبا الدرداء كان له نوى من نوى العجوة في كيس، فإذا صلى الغداة -الصبح- أخرجهن واحدة واحدة يسبح بهن حتى ينفدن.

4- وأخرج ابن أبي شيبة أن سعد بن أبي وقاص، كان يسبح بالحصي أو النوى، وأن أبا سعيد الخدري كان يسبح أيضًا بالحصي.

5- وجاء في كتاب (المناهل المسلسلة) لعبد الباقي أن فاطمة بنت الحسين كان لها خيط تسبح به.

6- وذكر المبرد في (الكامل) أن علي بن عبد الله بن عباس المتوفى 110 هـ كان له خمسمائة أصل شجرة من الزيتون، وكان يصلى كل يوم إلى كل أصل ركعتين، فكان يدعى «ذا النفثات» فكانه كان يعد تركعه بالأشجار.

وقد ورد في (تاريخ دمشق) لابن عساكر «حدثنا عائشة بنت

عبدالله بن عبدالرحمن بن أبي بكر الصديق قالت: رأيت عائشة بنت طلحة لها سبحة تسبح بها». (1)

وقد أثار استحداث السبحة وسيلةً للتسييح لم تكن موجودة في صدر الإسلام جدلاً فقهياً، حيث انقسم العلماء إزاءها بين مبدع منكر لها، وقائل بجوازها مرغّب فيها، وقد بسط كل من الطرفين حججاً وأدلة للاستدلال على موقفه.

ومن ذهب إلى جوازها الهروي، فقد أورد تعليقاً على الحديث «عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أَنَّهُ دَخَلَ مَعَ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَلَى امْرَأَةٍ وَبَيْنَ يَدَيْهَا نَوْىٌ أَوْ حَصَى، تُسَبِّحُ بِهِ فَقَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكَ بِمَا هُوَ أَيْسَرُ عَلَيْكُمْ مِنْ هَذَا أَوْ أَفْضَلُ؟ سُبْحَانَ اللَّهِ عَدَدَ مَا خَلَقَ فِي السَّمَاءِ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ عَدَدَ مَا خَلَقَ فِي الْأَرْضِ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ عَدَدَ مَا بَيْنَ ذَلِكَ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ عَدَدَ مَا هُوَ خَالِقٌ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ مِثْلَ ذَلِكَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ مِثْلَ ذَلِكَ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مِثْلَ ذَلِكَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ مِثْلَ ذَلِكَ» (رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، وَأَبُو دَاوُدَ، وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ).

قائلاً: «وَهَذَا أَصْلٌ صَحِيحٌ لِتَجْوِيزِ السَّبْحَةِ بِتَقْرِيرِهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَإِنَّهُ فِي مَعْنَاهَا، إِذْ لَا فَرْقَ بَيْنَ الْمَنْظُومَةِ وَالْمَنْثُورَةِ فِيمَا يُعَدُّ بِهِ، وَلَا يُعْتَدُّ بِقَوْلٍ مَنْ عَدَّهَا بِدَعَاةٍ، وَقَدْ قَالَ الْمَشَائِخُ: إِنَّهَا سَوَطُ الشَّيْطَانِ». (2)

(1) ابن عساکر: أبو القاسم علي بن الحسن (ت: 571هـ): تاريخ دمشق، تحقيق: عمرو بن غرامة العمري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1415هـ - 1995م، (69 / 252).

(2) الهروي، علي بن محمد، أبو الحسن نور الدين (ت: 1014هـ): مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، دار الفكر، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، 1422هـ - 2002م، (4 / 1601).

وذكر أنه: «قَدْ كَانَ لِأَبِي هُرَيْرَةَ خَيْطٌ فِيهِ عُقْدٌ كَثِيرَةٌ يُسَبِّحُ بِهَا،  
وَزَعَمُ أَنَّهَا بِدْعَةٌ غَيْرٌ صَحِيحٌ لِرُجُودِ أَصْلِهَا فِي السُّنَّةِ». (1)

ويسرد الإمام المناوي بعض أدلة جوازها مفرقاً بين من يتخذ  
السبحة للذكر بالقلب واللسان مبالغاً في إخفاء ذلك فيكون محلها  
الندب له، وبين من يتخذها للزينة والمباهاة، فيكون محلها الكراهة  
له، يقول:

«... فقد أخرج عبدالله بن أحمد أن أبا هريرة كان له خيط فيه ألفا  
عقدة فلا ينام حتى يسبح به. وفي حديث رواه الديلمي نعم المذكر  
السبحة، لكن نقل المؤلف عن بعض معاصري الجلال البلقيني  
أنه نقل عن بعضهم أن عقد التسييح بالأنامل أفضل لظاهر هذا  
الحديث لكن محله إن أمن الغلط وإلا فالسبحة أولى... ولم ينقل عن  
أحد من السلف ولا الخلف كراهتها نعم محل ندب اتخاذها فيمن  
يعدها للذكر بالجمعية والحضور ومشاركة القلب للسان في الذكر  
والمبالغة في إخفاء ذلك، أما ما ألفه الغفلة البطلة من إمساك سبحة  
يغلب على حباتها الزينة وغلو الثمن ويمسكها من غير حضور في  
ذلك ولا فكر ويتحدث ويسمع الأخبار ويحكىها وهو يجر كحباتها  
بيده مع اشتغال قلبه ولسانه بالأموال الدنيوية فهو مذموم مكروه  
من أقبح القبائح». (2)

وقد تمسك من قال بأن الأولى التسييح بالأنامل بظاهر حديث

(1) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (4 / 1606).

(2) المناوي: زين الدين محمد المدعو بعبدالرؤوف بن تاج العارفين (ت: 1031هـ): فيض القدير شرح الجامع  
الصغير، المكتبة التجارية الكبرى - مصر، الطبعة: الأولى، 1356هـ، (4 / 355).

يُسَيِّرَةٌ، «وَكَاثَتْ مِنْ الْمُهَاجِرَاتِ، قَالَتْ: «قَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: عَلَيْكُمْ بِالتَّسْبِيحِ وَالتَّهْلِيلِ وَالتَّقْدِيسِ، وَأَعْقِدْنَ بِالْأَنَامِلِ فَإِنَّهُنَّ مَسْئُولَاتٌ مُسْتَنْطَقَاتٌ»<sup>(1)</sup>.

لكن القائلين بجواز السبحة ينبهون إلى أن «حبات المسبحة لا تحركها في يد الإنسان إلا الأنامل، وهي ستسأل وتستنتق عند الله لتشهد أنه كان يسبح بها، ولا يجوز التوسع في إطلاق اسم البدعة على كل ما لم يكن معروفًا في أيام الرسول ولا أن يجر الخلاف في السبحة إلى جدل عقيم قد يضر، والأهم من ذلك هو الإخلاص في الذكر ولا تضر بعد ذلك وسيلته، والله ينظر إلى القلوب كما صح في الحديث»<sup>(2)</sup>.

(1) الترمذي، محمد بن عيسى، أبو عيسى (ت: 279هـ): سنن الترمذي، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ 1، 2) ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ 3)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ 4، 5)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، الطبعة: الثانية، 1395هـ - 1975م، (5 / 571).

(2) دار الإفتاء المصرية: فتاوى دار الإفتاء المصرية، (9 / 11)، بترقيم الشاملة آليًا) موضوع: المسبحة، المفتي: عطية صقر، وهو يجيب عن السؤال: (يقول بعض الناس إن التسبيح على السبحة بدعة، فهل هذا صحيح؟) مايو 1997.



## رابعاً: علو منزلة السبحة ونفاسة قيمتها

تحدّثنا كتب التاريخ عن سُبح جواهر نفيسة غالية الثمن كانت في خزائن الملوك والأمراء والوزراء وغيرهم من أصحاب النفوذ والحظوة والثراء، من ذلك أنه لما «أفضت الخلافة إلى المقتدر وفي خزائنه من الجواهر مالا عين رأت ولا أذن سمعت وفيه المعروف بالمتقادر وقيّمته مالا يقدر قدره والمعروف بالبحرة والدرّة اليتيمة وزعموا أن وزنها ثلاثة مثاقيل، فتبسط فيه المقتدر وقسم بعضه على الحرم ووهب بعضه لصافي الحرمي، ووجه إلى وزيره العباس بن الحسن منه شيئاً كثيراً فردّه العباس وكتب إليه يعلمه أن هذا الجوهر زينة الإسلام وعدة الخلافة وأنه لا يصلح أن يفرق فكان ذلك أول ثقله على قلبه».<sup>(1)</sup>

وفي (ثمار القلوب) حديث عن سبحة زيدان، «زيدان قهرمانه أم المقتدر وكانت مُمكّنة من خزائنه الجواهر وفيها جوهر الخلافة، فاتخذت سبحة تشتمل على ثلاثين درة متشابهة في الوزن واللون كل واحدة منها كبيضة العصفور مفصلة بعشر يواقيت لم

(1) الثعالبي، عبدالملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور (المتوفى: 429هـ): ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، دار المعارف - القاهرة، (ص: 195).

ير مثلها في عقد ملكه وَلَا خزانة ملك فَصَارَتْ مثلاً في النفائس  
والذخائر». (1)

وهذه السبحة «يُضْرَبُ بِهَا المثل في الارتفاع والنفاسة فيقال:  
سَبْحَةُ زَيْدَانَ، كَمَا يُقَالُ: أَشْقَرُ مَرْوَانَ وَجامع سُفْيَانَ وعود  
بنان». (2)

وقد قومت سبحة للمقتدر بالله بما يزيد على مائة ألف  
دينار، ففي كتاب (نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة): «عن  
أبي علي بن المهدي، قال: سمعت الأمير أبا محمد الحسن بن  
عيسى بن المقتدر بالله قال: أخبرتني والدي عمره، جارية  
المقتدر، قالت: استدعى المقتدر، بجواهر، فاختار منها مائة حبة،  
ونظمها سبحة يسبح بها، فعرضت على الجوهريين، فقوموا كل  
حبة منها بألف دينار، وأكثر، فكان إذا أراد أن يسبح، استدعى  
بها، ثم ردها إلي، فأعلقها في الخزانة، في خريطة، فلما قتل المقتدر،  
وقع النهب، فأخذت في جملة ما أخذ، فلعل الذي أخذها، لا  
يدري ما هي». (3)

وورد في أخبار هارون الرشيد أنه كان في مجلس غناء، ولما طرب  
«أخذ العود من يد جارية ووضعه في حجر إسما عيل، وجعل في  
عنق العود سبحة فيها عشر درات اشتراها بثلاثين ألف دينار وقال:

(1) المرجع السابق نفسه، (ص: 630).

(2) المرجع السابق نفسه، (ص: 195).

(3) التنوخي، المحسن بن علي البصري، أبو علي (ت: 384هـ): نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، 1391هـ، 7 / 255.



غَنِّي يَا إِسْمَاعِيلَ وَكَفَّرَ عَن يَمِينِكَ بِثَمَنِ هَذِهِ السَّبْحَةِ فَانْدَفَعَ يُغْنِي  
بِشَعْرِ الْوَلِيدِ بْنِ يَزِيدٍ...»<sup>(1)</sup>.

وحكى الصفدي في (الوافي بالوفيات) في خبر الوزير فخر الدولة  
أبي نصر الثعلبي مؤيد الدين ناظر ديوان حلب وزير ميفارقين من  
رجال العالَم حزمًا ودهاء ورأيًا أنه سعى إلى أن قدم بغداد وولي  
وزارة القَائِم بِأَمْرِ اللَّهِ ودامت دولته مُدَّةً.. ولما بُويعَ المقتدى أقره  
على الوزارة واستدعاه السُّلْطَانُ ملكشاه فعقد له على ديار بكر  
وَسَارَ وَمَعَهُ الْأَمِيرُ أرتق ابن أكسب صاحب حلوان في جماعَة مَعَ  
الأمراء والتركمان والأكراد ففتح ولده أبو القاسم زعيم الرؤساء  
مَدِينَةَ أَمْدٍ وَفَتَحَ أَبَوَهُ الْمَذْكُورَ ميفارقين وَكَانَ أَخَذَهَا مِنْ نَاصِرِ  
الدولة وَأَسْتَوْلَى عَلَى الْأَمْوَالِ وَكَانَ مِمَّا بَعَثَ مِنَ الْأَمْوَالِ لَوْلَدِهِ  
عميد الدولة وَهُوَ عِنْدَ السُّلْطَانِ مائة بلور دورها خَمْسَةَ أَشْبَارٍ  
وقوائمها مِنْهَا وَزِبَادِي وَأَقْداح بلور وَبَعَثَ إِلَيْهِ حَقًّا مِنْ ذَهَبٍ فِيهِ  
سَبْحَةٌ كَانَتْ لِنَاصِرِ الدُولَةِ مائة وَأَرْبَعُونَ حَبَّةً لُؤْلُؤٌ وَزَنَ كُلِّ حَبَّةٍ  
مِثْقَالٌ وَفِي وَسْطِهَا الْحَبْلُ الْيَاقُوتِ وَقَطَعَ بِلَخْشٍ بِمَا قِيمَتُهُ ثَلَاثِمِائَةَ  
أَلْفِ دِينَارٍ»<sup>(2)</sup>.

وفي هذا الكتاب أيضًا: «قَالَ أَبُو الْمُظْفَرِ ابْنُ الْجَوْزِيِّ بَلَغَ  
قِيمَةُ مَا خَلَفَ الصَّاحِبُ كَمَالَ الدِّينِ ثَلَاثَ مِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ

(1) النهرواني، أبو الفرج المعافى بن زكريا الجريدي (ت: 390هـ): المجلس الصالح الكافي والأنبس الناصح الشافعي، تحقيق: عبدالكريم سامي الجندي، دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة: الأولى 1426هـ - 2005م، (ص: 477).

(2) الصفدي: صلاح الدين خليل بن أبيب (ت: 764هـ): الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث - بيروت، 1420هـ - 2000م، (ج: 1 / ص: 111- 112).

وَأَرَانِي الْمَلِكَ الْأَشْرَفَ سَبَّحَهُ فِيهَا مِائَةَ حَبَّةٍ مِثْلَ بِيَاضِ الْحَمَامِ  
يَعْنِي مِنَ التَّرَكَّةِ». (1)

وتحدث ابن بطوطة في رحلته في أخبار السلطان قطب الدين  
تمتَّهَنَ بن طوران شاه، قائلاً إن من «عادته أن يأتي لزيارة كل من  
يقدم عليه من فقيه أو صالح أو شريف ويقوم بحقه، فوجدناه  
قاعداً على سرير ملكه وثيابه عليه لم يبدلها، وفي يده سبحة جوهر لم  
تر العيون مثلها لأن مغاصات الجوهر تحت حكمه». (2)

كما تحدث ابن بدران عن سبحة ضخمة عظيمة القيمة، ففي  
كتابه (منادمة الأطلال ومسامرة الخيال): «قَالَ أَبُو الظفر ابن  
الجوزي بلغت قيمة ما خلف الصاحب كمال الدين التكريتي  
ثلاثمائة ألف دينار وأراني الأشرف سبحة فيها مائة حبة مثل بيض  
الحمام وكانت من التَّرَكَّةِ». (3)

ويبدو أن السبحة كانت رمزاً للتدين، فقد أبان جوكي التقاه ابن  
بطوطة عن دينه الإسلامي بالإشارة إليها، يقول ابن بطوطة متحدثاً  
عن هذا الجوكي عن في رحلته عن قصته معه: «وكانت بيدي  
سبحة زيلع، فقلبتها في يدي فأعطيته إياها، ففركها بيده وشمها  
وقبلها، وأشار إلى السماء ثم إلى سمت القبلة، فلم يفهم أصحابي  
إشارته، وفهمت أنا عنه أنه أشار أنه مسلم يخفي إسلامه من أهل

(1) المرجع السابق نفسه، (4 / 124).

(2) ابن بطوطة، محمد بن عبدالله اللواتي الطنجي، أبو عبدالله، (ت: 779هـ): رحلة ابن بطوطة (تحفة النظر  
في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار)، أكاديمية المملكة المغربية-الرباط، 1417 هـ، (ج: 2 / ص 141-142).

(3) ابن بدران: عبدالقادر بن أحمد بن مصطفى بن عبدالرحيم بن محمد بدران (ت: 1346هـ): منادمة الأطلال  
ومسامرة الخيال، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة: 2، 1985م، (ص: 329).

تلك الجزيرة... ويتابع ابن بطوطة متحدثاً عن رفيقيه، وقلت لهما:  
الرجل مسلم، ألا ترون كيف أشار إلى السماء؟ يشير إلى أنه يعرف  
الله تعالى، وأشار إلى القبلة يشير إلى معرفة الرسول عليه السلام  
وأخذه السبحة يصدّق ذلك، فرجعا لما قلت لهما»<sup>(1)</sup>.

وفد تحدث الغزّي في كتابه (نهر الذهب في تاريخ حلب) عن  
«سبحة كبيرة تبلغ نحو خمسمائة حبة»<sup>(2)</sup> يستخدمها الناس في مجالس  
التعزية.

---

(1) ابن بطوطة، محمد بن عبدالله اللواتي الطنجي، أبو عبدالله، (ت: 779هـ): رحلة ابن بطوطة (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار)، أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 1417 هـ، (4 / 33).

(2) الغزّي، كامل بن حسين الحلبي، (ت: 1351هـ): نهر الذهب في تاريخ حلب، دار القلم- حلب، الطبعة: الثانية، 1419 هـ، (1 / 202).



## خامساً: السبحة في الأدب العربي

وردت السبحة في نصوص كثيرة من الشعر العربي، فقد ذكرها أبو نواس في قصيدة يخاطب بها الوزير ابن الربيع في عهد الخليفة الأمين (193-198هـ) مستعظفاً إياه بإظهار تعلقه بالسبحة إلى جانب المصحف كعلامة ارعواء عن الغي وأوبة للرشاد، يقول:

أنت يا ابن الربيع ألزمتني النسك      فك وعودتنيه والخير عاده  
فارعوى باطلي وأقصر حبلى      وتبدلت عفة وزهاده  
المسابيح في ذراعي والمصد      ححف في لبّتي مكان القلاده

وكان للسبع العنبرية حضور لافت في الشعر العربي القديم مما يدل على أن مادة العنبر قد اتسع استخدامها في صناعة السبع في العصور الماضية إذ يذكر الشاعر مهيار الديلمي (ت 428هـ) سبحة العنبر في قصيدة غزلية بدا فيها محبوبه متزيناً بسبحة عنبر، جعلها قلادة في جيده، فكانت مرمى ناظره ومنصرف اهتمامه، وهو وإن أمكنه التغافل عن بعض جمال المحبوبة فليس بوسعه أن يغفل عن جمال هذه السبحة الرائقة الحسن، يقول<sup>(1)</sup>:

(1) السبكي، تاج الدين عبدالوهاب بن تقي الدين السبكي (المتوفى: 771هـ): طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: د.محمود محمد الطناحي د.عبدالفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، 1413هـ، (9 / 182).

ما كان سهماً غار بل ظبي سنح      إن لم يكن قتلَ الفؤاد فقد جرح  
جلبَ الجمالَ يريد أنفسنا به      ثمناً فتاجرناه فيه كما اقترح  
عرقُ المجاسدِ فاض ماءً شبابه      والوردُ أطيب منه ريحاً ما رشح  
في جيده الكافورِ سبحةً عنبرٍ      ما كان أغفلني وليس عن السبخ

ويصف الحسن بن أحمد بن أبي سعيد الجنابي الحجل، فيشبهه ألوانه بالثياب الفاخرة وما يطوقه منها بسبحة العنبر: (1)

ولابسة ثوباً من الخزُّ أدكنا      ومن أحمَر الديباج راناً ومعجرا  
مطوّقة في النَّحرِ سبحةً عنبرٍ      على أنّها لم تلتمس أن يعطرا  
لها مقلنا جنع يمانٍ تحملت      ماقيهما في موضع الكحل عصفرا (2)

ومن شعر الشيخ شهاب الدين الخيمي في سبحة سوداء (3) لم يحدد طبيعتها وإن أشار إلى لونها الذي يركز سواد القلب والناظر:

وسبحة مسودة لونها      يحكي سواد القلب والناظر  
كأنني عند اشتغالي بها      أعدّ أيامك يا هاجري

وقد جعل الشاعر ابن سناء الملك ثغر محبوبته سبحة جوهر يتمتع بجمالها مسترسلاً في ارتشاف ريقها كما يسترسل خرز السبحة، يقول: (4)

(1) الأصفهاني، الراغب، أبو القاسم الحسين بن محمد (ت: 502هـ): محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت، الطبعة: الأولى، 1420 هـ، (2 / 715).

(2) هذه الأبيات وردت أيضاً منسوبة لأبي علي البصير انظر: الصفدي، صلاح الدين خليل بن أبيك بن عبدالله الصفدي (ت: 764هـ): الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرنؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث - بيروت، 1420هـ - 2000م، (11 / 288).

(3) العاملي، محمد بن حسين الهمداني، بهاء الدين (ت: 1031هـ): الكشكول، تحقيق: محمد عبدالكريم النمري، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، 1418هـ - 1998م، (2 / 135).

(4) السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (المتوفى: 771هـ): طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي، د. عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، 1413هـ، (9 / 183).

جَنَحَ الْغَزَالِ إِلَى قِتَالِ جَوَانِحِي      فَغَدَوْتُ أَجْنَحَ مِنْهُ لَمَّا أَنْ جَنَحَ  
وَرَشَفْتَ رَيْقَتَهُ عَلَى رِغْمِ الطَّلَا      مِنْ كَأْسِ مَرَشْفِهِ عَلَى غَيْظِ الْقُدْحِ  
لِي سَبْحَةٍ مِنْ جَوْهَرٍ فِي ثَغْرِهَا      فَفَضَلْتَ سَائِرَ مَنْ يَسْبَحُ بِالسَّبْحِ

ويقول مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ كَهَّالِ الشَّمْسِ الدَّجَوِيِّ فِي وَصْفِ  
سَاقِي خَمْرِ بِيَدِهِ سَبْحَةٍ يَتَّخِذُ مِنَ السَّبْحَةِ زِينَةً يَدِيرُهَا فِي يَدِهِ إِدَارَتَهُ  
لِلْخَمْرِ عَلَى جَمَاعَةِ الْمَجَانِ: (1)

يَا مَنْ غَدَا فِي زَعَمِهِ مَتْنَسِكًا      وَمَسَالِكِ النَّهْمِ الْكِبَارِ تَدْوِرُهَا  
فَإِذَا حَضَرْتَ عَلَى الْمِدَامِ بِسَبْحَةٍ      وَجَلَسْتَ تَسْقِي الْخَمْرَ كَيْفَ تَدِيرُهَا

ويشبه الشاعر أحمد المهنداري الحلبي شفاه محبوبته بجدول من  
الياقوت تحته أسنان براقه انتظمت كسبحة الدر (2):

إِنَّ الشَّفَاهَ اللَّائِيَّ حَمَلْنِي      فِي الْحُبِّ أَعْصَافَ الَّذِي لَا أُطِيقُ  
جَدُولَ يَاقُوتٍ بَدَا تَحْتَهُ      سَبْحَةٌ دَرِ نَظْمَتٍ فِي عَقِيْقِ

ولما سمع الأديب السيد محمد العرضي الحلبي هذين البيتين  
جارأهما قائلاً (3):

تلك الثنايا وأشقائي بها      باتت تريني عند لثمي الطريق  
تبددت من غيرة عندها      سبحة در نظمت في عقيق

(1) السخاوي، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبدالرحمن (ت: 902هـ): الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت، (7 / 38).

(2) الحسيني: محمد خليل بن علي، أبو الفضل (ت: 1206هـ): سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، دار البشائر الإسلامية، دار ابن حزم، الطبعة: الثالثة، 1408 هـ - 1988 م، (2 / 201).

(3) المرجع السابق نفسه، (2 / 201).

إن السبّح لنفاستها فيما يبدو كانت مما يتهداه الأدباء  
فيما بينهم، يقول التنوخي في كتابه (نشوار المحاضرة وأخبار  
المذاكرة): أهدي إلي نصر بن أحمد الخبز أرزي، سبحة سبّح،  
وكتب معها<sup>(1)</sup>:

بعثت يا بدر بني يعرب      بسبحة من سبّح معجب  
يقول من أبصرها طرفه      نعم عتاد الخائف المذنب  
لم تحط إن فكّرت في نظمها      ولونها من حمّة العقرب

ويبدو أن السبحة كما استخدمت للتبتل والعبادة حتى غلب  
عليها الرمز للصالح والزهد كما لحظنا في شعر أبي نواس  
السابق أصبحت في يد النسوة زينة وجمالاً، يدلّك على ذلك ما  
روى الأصفهاني في كتابه (محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء  
والبلغاء) «مر عبد الله بن جعفر بامرأة مزينة مطيئة جالسة  
على باب دارها وفي يدها سبحة، فقال: ما التسييح بمشابه  
لخالك فأنشدت:

ولله عندي جانب لا أضيعه      وللهو منّي جانب ونصيب  
ولست أبالي من رمانى بريّة      إذا كنت عند الله غير مريب<sup>(2)</sup>

وكما أكثر الشعراء من ذكر سبّح الجواهر استعمل الكتاب السبّح

(1) التنوخي: المحسن بن علي بن محمد بن أبي الفهم داود التنوخي البصري، أبو علي (المتوفى: 384هـ):  
نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، 1391 هـ، (5 / 29).

(2) الأصفهاني، الراغب، أبو القاسم الحسين بن محمد (ت: 502هـ): محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء،  
شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت، الطبعة: الأولى، 1420هـ، (2 / 252).



في أساليبهم الثرية، يقول الصفدي واصفًا أحد الكتاب موظفًا  
السبحة الجوهرية في التصوير: «وكان خطّه قيد النواظر، ونزهة من  
يرتفع في الرياض النواصر، كل سطر كأنه سُبحةٌ جوهريّةٍ راقٍ نظمها،  
وفاق على الكواكب وَسْمُها».<sup>(1)</sup>

---

(1) الصفدي: صلاح الدين خليل بن أبيك (ت: 764هـ): أعيان العصر وأعوان النصر، تحقيق: د.علي أبو زيد، د.نبيل أبو عشمّة، د.محمد موعد، د.محمود سالم محمد، دار الفكر المعاصر، بيروت - لبنان، دار الفكر- دمشق، الطبعة: الأولى، 1418هـ - 1998م، (1 / 359).



## أهم مصادر ومراجع البحث

- 1) إبراهيم مصطفى وأحمد الزيات وحامد عبدالقادر ومحمد النجار: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة.
- 2) ابن المعتز، عبدالله بن محمد العباسي (ت: 296هـ): طبقات الشعراء، تحقيق: عبدالستار أحمد فراج، دار المعارف - القاهرة.
- 3) ابن بدران: عبدالقادر بن أحمد بن مصطفى بن عبدالرحيم بن محمد بدران (ت: 1346هـ): منادمة الأطلال ومسامرة الخيال، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الثانية، 1985م.
- 4) ابن بطوطة، محمد بن عبدالله اللواتي الطنجي، أبو عبدالله، (ت: 779هـ): رحلة ابن بطوطة (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار)، أكاديمية المملكة المغربية - الرباط، 1417هـ.
- 5) ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد أبو زيد، الإشبيلي (ت: 808هـ): ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر - بيروت، الطبعة: الثانية، 1408هـ - 1988م.
- 6) ابن سعيد المغربي الأندلسي أبو الحسن علي بن موسى (ت: 685هـ): المغرب في حلى المغرب - تحقيق: د. شوقي ضيف، دار المعارف - القاهرة، الطبعة: الثالثة، 1955م.

- (7) ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت: 458هـ): المخصص، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، 1417هـ - 1996م.
- (8) ابن عساكر: أبو القاسم علي بن الحسن (ت: 571هـ): تاريخ دمشق، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1415 هـ - 1995م.
- (9) ابن منظور، محمد بن مكرم (ت: 711هـ): لسان العرب، دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة - 1414هـ.
- (10) أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد ابن عمر بن شاهنشاه بن أيوب (ت: 732هـ): المختصر في أخبار البشر (تاريخ أبي الفداء)، المطبعة الحسينية المصرية - مصر، الطبعة: الأولى.
- (11) الأبشيهي، شهاب الدين محمد بن أحمد بن منصور أبو الفتح (ت: 852هـ): المستطرف في كل فن مستظرف، عالم الكتب - بيروت، الطبعة: الأولى، 1419هـ.
- (12) الأزهري، محمد بن أحمد، أبو منصور (ت: 370هـ): تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، 2001م.
- (13) الأصفهاني، الراغب، أبو القاسم الحسين بن محمد (ت: 502هـ): محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت، الطبعة: الأولى، 1420هـ.
- (14) البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله: الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه (صحيح البخاري)، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، 1422هـ.

- 15) البكري، أبو عبيد عبدالله بن عبدالعزيز البكري الأندلسي (ت: 487هـ): سمط اللآلي في شرح أمالي القالي، نسخه وصححه ونقحه وحقق ما فيه واستخرجه من بطون دواوين العلم: عبدالعزيز الميمني، دار الكتب العلمية - بيروت.
- 16) الترمذي، محمد بن عيسى، أبو عيسى (ت: 279هـ): سنن الترمذي، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (ج1، 2) ومحمد فؤاد عبدالباقي (ج3)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (ج4، 5)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى الباي الحلبي - مصر، الطبعة: الثانية، 1395 هـ - 1975 م.
- 17) التنوخي: المحسن بن علي بن محمد بن أبي الفهم داود التنوخي البصري، أبو علي (المتوفى: 384هـ): نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، 1391هـ.
- 18) التنوخي، المحسن بن علي البصري، أبو علي (ت: 384هـ): نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، 1391هـ.
- 19) التوحيد، أبو حيان التوحيدي، علي بن محمد بن العباس (ت: نحو 400هـ): الإمتاع والمؤانسة، المكتبة العصرية - بيروت، الطبعة: الأولى، 1424هـ.
- 20) الثعالبي، عبدالملك بن محمد، أبو منصور (ت: 429هـ): ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، دار المعارف - القاهرة.
- 21) الحصري، إبراهيم بن علي بن تميم الأنصاري، أبو إسحاق القيرواني (ت: 453هـ): زهر الآداب وثمر الألباب، دار الجيل - بيروت.
- 22) الحموي، شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت الرومي (ت: 626هـ): معجم البلدان، دار صادر - بيروت، الطبعة: الثانية، 1995 م.
- 23) الرازي، زين الدين أبو عبدالله محمد (ت: 666هـ): مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية - الدار النموذجية - بيروت، الطبعة: الخامسة، 1420هـ - 1999 م.

- 24) الزبيدي، محمد بن محمد (ت: 1205هـ): تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.
- 25) السبكي، تاج الدين عبدالوهاب بن تقي الدين السبكي (المتوفى: 771هـ): طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي، د. عبدالفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، 1413هـ.
- 26) السخاوي، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبدالرحمن (ت: 902هـ): الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت.
- 27) السري الرفاء (ت 388 هـ): المحب والمحبوب والمشموم والمشروب.
- 28) السيوطي: عبدالرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (ت: 911هـ): المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، 1418هـ - 1998م.
- 29) الصفدي: صلاح الدين خليل بن أيبك (ت: 764هـ): أعيان العصر وأعوان النصر، تحقيق: د.علي أبو زيد، د. نبيل أبو عشمه، د. محمد موعد، د. محمود سالم محمد، دار الفكر المعاصر - بيروت، دار الفكر - دمشق، الطبعة: الأولى، 1418هـ - 1998م.
- 30) الصفدي: صلاح الدين خليل بن أيبك (ت: 764هـ): الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرنؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث - بيروت، 1420هـ - 2000م.
- 31) العاملي، محمد بن حسين الهمذاني، بهاء الدين (ت: 1031هـ): الكشكول، تحقيق: محمد عبدالكريم النمري، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، 1418هـ - 1998م.

- 32) العصامي: عبدالمملك بن حسين (ت: 1111هـ): سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود- علي محمد معوض، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، 1419هـ - 1998م.
- 33) الغزّي، كامل بن حسين الحلبي، (ت: 1351هـ): نهر الذهب في تاريخ حلب، دار القلم- حلب، الطبعة: الثانية، 1419 هـ
- 34) الفراهيدي: أبو عبدالرحمن الخليل بن أحمد البصري (ت: 170هـ): كتاب العين، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
- 35) الفسوي، يعقوب بن سفيان بن جوان الفارسي (ت: 277هـ): المعرفة والتاريخ، تحقيق: أكرم ضياء العمري، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الثانية، 1401هـ- 1981م.
- 36) الفيومي، أحمد بن محمد بن علي، أبو العباس (ت: نحو 770هـ): المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية - بيروت.
- 37) القرشي: أحمد بن يحيى العدوي العمري، شهاب الدين (ت: 749هـ): مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، المجمع الثقافي- أبو ظبي، الطبعة: الأولى، 1423هـ.
- 38) المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي (ت: 346هـ): أخبار الزمان ومن أباده الحدثان وعجائب البلدان والغامر بالماء والعمران، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت، 1416هـ - 1996م.
- 39) المعري، أبو العلاء: معجز أحمد، شرح ديوان الشاعر الطيب أبي المتنبّي أحمد بن الحسين.
- 40) المقري، شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني (ت: 1041هـ): أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، تحقيق: مصطفى السقا، عبدالعظيم شلبي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة، 1358هـ - 1939م.

41) المقري، شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني (ت: 1041هـ): نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر- بيروت.

42) النهرواني، أبو الفرج المعافى بن زكريا الجريري (ت: 390هـ): الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي، تحقيق: عبدالكريم سامي الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى 1426هـ - 2005م.

43) النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف (ت: 676هـ): تحرير ألفاظ التنبيه، تحقيق: عبدالغني الدقر، دار القلم - دمشق، الطبعة: الأولى، 1408هـ.

44) النويري، أحمد بن عبدالوهاب القرشي التيمي البكري، (ت: 733هـ): نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، الطبعة: الأولى، 1423هـ.

45) الهروي، علي بن محمد، أبو الحسن نور الدين (ت: 1014هـ): مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، دار الفكر- بيروت، الطبعة: الأولى، 1422هـ - 2002م.

46) سعدي، الدكتور أبو حبيب: القاموس الفقهي لغة واصطلاحاً، دار الفكر - دمشق، الطبعة: الثانية 1408هـ - 1988م.

47) سعيد عاشور: نظم الحكم والإدارة في عصر الأيوبيين والمماليك - المرأة في الحضارة العربية - المؤسسات الاجتماعية في الحضارة العربية (مطبوع ضمن موسوعة الحضارة العربية الإسلامية)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة: الأولى 1987م.

48) عبدالعزيز صالح: الشرق الأدنى القديم في مصر والعراق، مكتبة دار الزمان.



49 ( فتاوى دار الإفتاء المصرية، (9 / 11، بترقيم الشاملة آلياً) موضوع: المسبحة، المفتي: عطية صقر، مايو 1997، السؤال: يقول بعض الناس إن التسبيح على السبحة بدعة، فهل هذا صحيح؟

50 ( لويس شيخو: رزق الله بن يوسف شيخو (ت: 1346هـ): مجاني الأدب في حدائق العرب، مطبعة الآباء اليسوعيين- بيروت، 1913م.

51 ( مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: 261هـ): المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

52 ( محمد هاني عطوي: الكهرمان يكشف أسرار حشرات عاشت قبل 100 مليون سنة، ضمن جريدة الخليج، 2009/05/01، <http://www.alkhaleej.ae>

53 ( موقع: موضوع.كوم <https://mawdoo3.com>

54 ( موقع ويكيبيديا <https://ar.wikipedia.org/wiki>

كتارا  
katara  
دار كتارا للنشر  
Katara Publishing House

2019